عن "الثورة" و"الإعلام" وأشياء أُخرى

الدكتور طلال حاطوم

2020

الكتاب: عن "الثورة" و"الإعلام" وأشياء أُخرى
القياس: 14* 21 سم
عدد الصفحات: 72 صفحة
سنة الطبع: 2020
الطبعة: الاولى
المؤلف: الدكتور طلال حاطوم
الناشر: دار بلال
لوحة الغلاف من أم. سي. إيشر

مقدمة

شكلت الاوضاع الضبابية التي مرّ بها لبنان منذ (17 تشرين الاول 2019) تحت مسميات: "الثورة"، أو "الانتفاضة"، أو "الاحتجاجات الشعبية"، أو "الحراك"، شكلت، نوعاً من الاستفزاز والتحفيز لمعرفة واقع المصطلحات التي تُطلق على هذه الحالة عند كثير من المتابعين ـ اعلاميين وغير اعلاميين ـ خصوصاً وأن معظم مستخدمي هذه المصطلحات والتعريفات يخلطون بينها في وصفة عجيبة لا تقرب الواقع الحقيقي، وانما تناسب اهواء مطلقيها والمروجين لها. حتى اصبحت هذه المصطلحات نمطية، بحيث تلفظ باللغات الاجنبية على طريقة نطقها باللغة العربية، فاصبحت "الثورة" تنقل حتى في وسائل اعلام عالمية واجنبية "thawra" ولا تترجم مثلاً إلى المصطلح الاجنبي المقابل لها "revolution"(كما لاحظ بدقة الدكتور طلال عتريسي في مقالته: (التضليل الناعم في شعارات الاحتجاج الشعبي) مشيراً أنه لا ينطبق ما يجري في لبنان على أي من المواصفات المعروفة لا" للثوّار" ولا حتى"للثورة". ومضيفاً بسؤال: لماذا إذا الإصرار على تسمية ما حصل بأنه "ثورة"؟

والجواب عند عتريسي: لأن الإنتماء إلى "ثورة" يعطي أهمية استثنائية لما يجري، وشعوراً بالقوة، وبالقدرة على التغيير، وبالمشاركة في صنع التاريخ، "لأن الثورات هي التي تصنع التاريخ". شعار الثورة يعطي أهمية "ناعمة" لكل شخص موجود في التجمعات، وتجعله يؤجل كل اهتماماته ويومياته لكي

يشارك في صناعة الثورة، وهو يشعر بالسعادة والرضا، بعدما تحولت الفضائيات إلى نقل مباشر لصراخه وشتائمه وشكواه ضد السلطة ورموزها. ولأن الثورة تعني عدم القبول بأنصاف الحلول، فهي تتيح بهذه التسمية رفض أي حل يقترح للأزمة، وإمكانية جرّ البلد إلى الفوضى.

نعم كانت ثورة في وسائل الإعلام، وفي الهتافات وفي المجسمات، وفي الرسوم على الجد ران، وفي ما سمي "هيئة تنسيق الثورة"...التي لا نعرف لماذا تخفي أسماء العاملين فيها.

إن القول بأنها حركة احتجاج شعبي أكثر تطابقاً مع الواقع، وهذا لا ينقص على الإطلاق من أهميتها ولا من مشروعية الأسباب المحقّة التي أدت إليها، ولا من تأثيراتها الراهنة والمحتملة"، يختم عتريسي.

وكذلك الاعلام الحديث الذي لم يعد يتقيد بضوابط لا قانونية ولا مواثيق شرف مهنية، وغاب عنه ان الاعلام الملتزم جانب الناس والجمهور هو (إعلام القضايا) المحقة التي تستوجب ملاحقة من أجل إيجاد سبل علاجها وحلها.

ولأن المتابعة الاعلامية، وخصوصاً من الاعلاميين الذين يتنكبون تغطية الحدث مباشرة من ارض الواقع، أو اؤلئك الذين تفيض بهم الشاشات التلفزيونية على تنوعها يومياً لعرض التحاليل والاراء وتقديم النظريات، كلها، تستوجب معرفة ولو بسيطة، بمعنى الحدث وأبعاده.

ولأن جزءاً من المصطلحات المستخدمة والمرمية على عواهنها، وبدون حساب لأن يفقه على الاقل (بعض الجمهور المستهدف) معانيها ومراميها الموضوعية والعلمية والحقيقة واسلوب وموقع استخداماتها، وهي اساساً واقعة في صلب منهاج كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية.

ولأن على طلاب الإعلام ـ وأيضاً من تخرجوا ويحملون شهادة في الاعلام ـ أن يحددوا هدف استخدام المصطلحات بدقة، وعلى اسس ما تهدف إليه فعلاً،

كان هذا الكتيب.

ولا يفوت اضافة ملاحظة ان في ذيل الكتيب ملخصاً بسيطاً لكتاب (سيكولوجية الجماهير) لغوستاف لوبون، الذي يعد من امهات الكتب التي لا تزال توصّف الرأي العام والجماهير، وقد رأينا اضافته لأنه يشكل بوابة عبور إلى فهم الرأي العام الذي يشكل جمهور الثورة ـ أي ثورة ـ طالما انه يحوّل اهتمامات الرأي العام إلى قضية تتصل مباشرة بإحتياجاته العاطفيّة أو الاقتصاديّة أو النفسيّة أو غيرها..

اخيراً،

وبوضوح لا لبس فيه، ولا اشتباه في مقاصده، لا يدعي هذا الكتاب انه يحمل تحليلاً سياسياً لما يحدث في لبنان، ولا يتنكب مهمة وضع الحلول للأزمة المستولدة من أزمة وأزمات، كما انه لا يطلق إتهامات أو يدافع عن وجهة نظر، ومع التأكيد أن هذا الكتيب ليس سبّاقاً إلى هذا المضمار في أولوية شرح المعاني

وتوضيح المصطلحات، بل بكل بساطة، هو محاولة لا تقرُب الكمال لجمع وتبويب وتوصيف مجموعة من المصطلحات والتعريفات المختزنة في الذاكرة، والمكتنزة في المراجع والمصادر، وضمّها ضمن دفتي كتيب ليكون مرشداً، لا مرجعاً، نترك للقارئ الذي لا تفوته النباهة أن يستدل به، لعل بعض التصويب الضروري يفيد من يرغب بالإستفادة..

والله من وراء القصد وهو المعين.

الدكتور طلال حاطوم

عن "الثورة" و"الإعلام" واشياء اخرى

(ثورة)، ترجع هذه الكلمة إلى فعل (ثأر) في اللغة العربية، أي أظهر ردة فعل عنيفة من أجل تغيير شيٍ ما إلى الأفضل، أما تعريف الثورة الفلسفي، فقد اختلف الفلاسفة على وضع تعريفات الثورة، حيث أجمع عدد منهم على وصفها بأنها ردة فعل لفظية أو حركية يمارسها الإنسان البالغ من أجل إحداث تغيير في نظام حياته نتيجة تعرضه لأي نوع من أنواع الظلم الذي يسلب بدوره جزءاً من حقوقه، سواء كانت حقوقاً فردية أم جماعية. وتعتمد الثورة على مجموعة من الناس يدعون بالثائرين الذين يضمون جميع فئات المجتمع وأغلبهم من المثقفين ورجال العلم والدين والفلاحين والعمال...

ويمكن تعريف **الثورة على أنّها ومن منظور سياسي واجتماعي** الحدث الذي يشهد تغييرات كبيرة ومفاجئة وقد تصل لحالة العنف لو وصلت للمستوى الحكومي.

ومن ناحية أخرى يُعتبر هذا المفهوم مقياساً لمدى التغييرات كالتعبير عن الثورة الصناعية التي تشير إلى تغييرات كبيرة وجذرية في الأحوال الاقتصادية والظروف التكنولوجية.

ولو نظرنا لتاريخ هذا المفهوم لتبين أنّه موجود منذ عصر الفيلسوف الإغريقي **أرسطو** حينما أشار بمصطلح (الثورة) إلى التغيرات الحاصلة بشكل دوري على الحكومات المتعاقبة.

وفي أيامنا المعاصرة أصبح مفهوم الثورة يشكّل تحدياً للأنظمة السياسية القائمة لدرجة تصل لتغيير أنظمة الحكم والأنظمة الاقتصادية والبنية الاجتماعية والقيم الثقافية، كما حدث في الثورات الأوروبية مثلاً.

كما تحمل بعض المراجع تعريفات للثورة على أنها عملية الإطاحة بالنظام السياسي في دولة ما، من خلال عمليات منظمة من قبل المواطنين الذين يعيشون في تلك الدولة. ينتج عن هذا التغيير في النظام السياسي حلول نظام سياسي جديد يتولى الحكم في تلك الدولة، ويغيّر من شكل اتخاذ القرارات على نحو يلائم متطلبات الشعب.

سمات (الثورة)

وعادة ما تتسم الثورات التي تحصل في شتى بلدان العالم بسرعة التغيير التي تحصل، سواء كان ذلك في الجانب السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي...

وتأتي الثورات في معظم الأحيان نتيجة لحالة الظلم والقهر والاستبداد التي تمارسها السلطات الحاكمة ضد الشعب، لتكون هذه الثورات كردة فعل شعبية تجاه كل ذلك، ليطالب الأفراد بالعدالة الاجتماعية، والعدل السياسي، وعدم تجاهل رأيهم، أو أفكارهم التي تكون السلطات الحاكمة متجاهلة لها بشكل أو بآخر.

وهناك العديد من المظاهر التي تتصل بالثورات من أهمها ما يلي:

- **الاعتصامات الشعبية** للمطالبة بإعطاء الحقوق، وتحسين المعيشة، ورفع المظالم عن الشعب.

- **العصيان المدني** للشعب ضد السلطة، والذي يهدف إلى الضغط على النظام الحاكم لتعديل طريقة الحكم، وتصحيح مسار النظام السياسي بما يناسب الشعب.

- **الهتاف ضد السلطة الحاكمة**، والمطالبة بالرحيل عن سدة الحكم، وتسليمها لمن يحقق للشعب مصالحه وأهدافه.

ويمكن أن تصنف الثورات وفق الأنواع التالية:

الثورات السياسية: يرجع سبب حدوث هذا النوع من الثورات عند شروع الدولة بإجراء جملة من التغييرات والتطويرات على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي. وقد تنشأ عن طريق مجموعة عشوائية من الأفراد في البداية من أجل تغيير الظروف المعيشية للأفضل التي تتعلق عادةً بإسقاط أشخاص من الحكم، وفي نهاية هذه الثورة يظهر الكثير من المنظمات والحركات التحررية والجماعات المناهضة.

كما انها تُعرّف على أنها قد تنتج عن جميع فئات المجتمع ممثلة برجال السياسة، وتكون هذه الثورة بهدف استبدال نظام حكم مستبد متجبر قائم على الظلم والقهر والقمع بنظام حكم آخر يُفترض أن يكون أكثر عدلاً، وقد يستخدم المتظاهرون في هذه الحالة بعض أنواع الأسلحة إذا لم يُقَدِم النظام الحاكم استقالته من الحكم.

الثورات الاجتماعية: تعتبر الثورات الاجتماعية عادةً من أحد نتاجات الثورة السياسية، حيث تبدأ الثورة بحالتها السياسية لتتطور بشكلها الاجتماعي مسببةً العديد من الاشتباكات والخلافات بين المجموعات المختلفة في الآراء والتوجهات.

وتتقسم الثورة إلى عدة أنواع، فيما يأتي أبرزها:

الثورة البرجوازية: يرجع ظهور هذا المفهوم إلى القرن السادس عشر عند اندلاع ثورة المواطنين الألمانيين ضد نظام الحكم من أجل زيادة فرص تمليك المواطنين، ورفع مستواهم الإقتصادي وتأثيرهم بالقوى الإنتاجية للدولة.

الثورة الاشتراكية: يرتبط مسمى هذه الثورة بالشعب الروسي الذي ثار ضد نظام الحكم الرأسمالي من أجل القضاء على الملكية الفردية وتحويل التبادل الاقتصادي إلى علاقة تشاركيّة بين الأفراد والحكومة بشكل عادل دون وجود طبقات مسيطرة على موارد المجتمع.

وعلى مرّ التاريخ قام العديد من الثورات في مختلف بلدان العالم، بعضها تكلل بالنجاح، وبعضها الآخر فشل في إسقاط من هم في سدّة الحكم.

ومن أهم الثورات التي قامت:

الثورة الفرنسية: والتي قامت ضد الحكم الملكي وفساده السياسي والاجتماعي.

الثورة الأميركية: نتجت عبر مجموعة من المواطنين الأميركيين للمطالبة باستقلال الولايات المتحدة عن حكم دولة بريطانيا التي كانت تحتلها في ذلك الوقت، وقد استمرت هذه الثورة 13 سنة، وفي نهايتها حصلت أميركا على نظام حكم ذاتي.

الثورة التركية: قادت هذه الثورة جمعية (الفتاة) التركية ضد قرار دستوري أصدرته دولة الخلافة العثمانية في ذلك الوقت، مما أدى

إلى استبدال السلطان حميد الثاني بأخيه محمد الخامس بعد عام من الثورة.

الثورة الصينية: نشأت ضد الحكم الرأسمالي في بدايات القرن العشرين، وتصاعدت أحداثها إلى حرب أهلية نازفة بين النظام والشعب الصيني، وبعد 48 عام من الدموية أحرز المتظاهرون مطالبهم، فاستبدلت الحكومة الرأسمالية بحكومة صينية اشتراكية شعبية.

الثورة المصرية عام 1919: والتي قامت ضد الاحتلال البريطاني الذي كان قائماً في مصر.

الثورة الجزائرية: والتي قامت في عام 1954، وكانت ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

اما ثورات الربيع العربي التي قامت في العديد من الدول العربية ضد الأنظمة الحاكمة مثل: ثورة تونس عام 2010، ثورة 17 يناير في ليبيا ضد نظام معمر القذافي، الثورة المصرية الحديثة ضد النظام الحاكم عام 2011، فلا تزال - حتى الآن (2020) - نتائجها ضبابية مع غياب الأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي وتأثيراتها الاقتصادية في تلك الدول.

دورة حياة الثورات: 4 مراحل تمر بها الثورات الشعبية

في عام 1938 كتب المؤرخ والكاتب الأمريكي"**كرين برينتن**" كتاباً أسماه "**تشريح الثورة**"، برينتن، الذي يُعدّ شخصية أكاديمية وفكريّة كبرى حصل على الدكتوراه من جامعة أوكسفورد، والأستاذيّة من جامعة هارفارد، تتبع بالدراسة المتعمقة أربع من أهم الثورات في التاريخ الإنساني، وهي: الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية والثورة البلشفية بروسيا والحرب الأهلية الإنجليزية.
وحاول برينتن أن يؤصل في كتابه - الذي أعاد طبعه في 1956 و1964 - بشكل علمي المراحل التي تمر بها "الثورة" بشكل عام، ويُعد هذا الكتاب مصدراً أساسياً مهماً لتفسير الثورات، وألهَم العديد من الكُتَّاب لاحقاً على تأليفَ كُتب يحاولون من خلالها تفسير التغيّرات في المشهد السياسي لبلادهم من منطلق مراحل الثورة التي وضعها "برينتن".
وملخص أهم المراحل التي اشتركت فيها الثورات الأربع بحسب كتاب "تشريح الثورة" تركّز بشكل أساسي على مراحل ما بعد إسقاط أول "ديكتاتور"، والشدّ والجذب الذي يعقب تلك المرحلة مع ما تحمله المراحل المتوسطة للثورة من عناوين وأحداث حتى الوصول إلى المرحلة الأخيرة بالثورة، وهذه المراحل الأربع للثورة هي :

1- المرحلة التمهيدية (الأعراض)

تبدأ تلك المرحلة بالتنافر الطبقي الذي ينشأ في المجتمع؛ نتيجة لعدم كفاءة الحاكم، وتكون الطبقة الوسطى هي المحرك الأساسي للثورة

بسبب قيود فرضها الحاكم على الشعب مما يؤدي إلى سخط شديد، وتحاول الدولة استخدام القوة، ولكنها تفشل وينهار الجهاز البيروقراطي لها، ويتخلى المثقفون الذين قد يمثلون ضمير الأمة عن الحاكم مما يُعجّل بإسقاطه.

2- الحمى الصاعدة

يعرف برينتن المرحلة الثانية من الثورة بالحمى الصاعدة، إذ يتصاعد السخط في الطبقة الوسطى، وينتقل منها إلى باقي طبقات الشعب، وتنشأ المواجهات بين الشعب والحكومة، وتتوج بمعركة مصيرية ينهار فيها الجهاز الحكومي تحت ضغط الانتفاضة والإنهيار المالي، ثم يشكّل المعتدلون أو الوسط السياسي الحكومة الجديدة التي يطلق عليها تسمية الحكومة المعتدلة، لكنها تعجز عن إدارة الدولة، ومواجهة التحديات والأزمات الاقتصادية، ووضع دستور جديد على سبيل المثال، وتمر تلك الفترة بعدة مراحل وخطوات هامة نحاول ان نفصّلها في السطور الآتية:

- شهر عسل قصير!

يتحدث كرين برينتن عن فترة سماها بشهر العسل، فبعد سقوط النظام تُظهر خُطب "المنتصرين" أنهم غير مجمعين على ما يفعلونه لإدارة شؤون البلاد، ودائماً ما يتولى المعتدلون - وهم الذي كانوا في أعلى مراتب المعارضة للحكومة القديمة- السلطة والمسؤولية بشكل شبه تلقائي.

وبمجرد تولي المعتدلين للحكم يتبين أنهم أقل تجانساً وانضباطاً مما بدا عليه الأمر عندما كانوا في صفوف المعارضة، ويتراكم عليهم

عدد من المهمات العسيرة مثل إصلاح المؤسسات القائمة، ووضع دستور جديد، بالإضافة إلى تسيير متطلبات الحكم العادية، والأصعب هو سرعة وجود أعداء مسلحين من الراديكاليين والمتطرفين **"الذين يصرون على أن المعتدلين كانوا يحاولون وقف الثورة وأنهم قد خانوها، وأنهم سيكونون مثل حكام العهد القديم، بل أسوأ كثيراً لأنهم خونة وحمقى وأوغاد"**.

ـ السيادة الثنائية

يتحدث برينتن عما سماه "السيادة الثنائية"، والتي حدثت في الثورات الأربع التي رصدها، وهي تتبلور بأن معارضي الحكومة الشرعية ليسوا فقط مجرد أحزاب وخصوم سياسيين، بل حكومة منافسة "غير شرعية"، ولكن أكثر تنظيماً وذات موظفين أفضل، وتُطاع على نحو أكبر، ويبرز دورهم بشدة في الأزمات الثورية؛ فيتصرفون بنحو طبيعي محل الحكومة الشرعية.

ويشير برينتن إلى أن تولي الحكومة في المراحل المبكرة للثورة مصدر ضعف وليس قوة، وتصبح الحكومة الشرعية غير شعبية نسبيا لدى الكثيرين للسبب نفسه الذي يجعلها حكومة واضحة ومسؤولة؛ لكونها مؤسسة لديها موارد مالية وسيطرة نسبية على مؤسسات الدولة، ويفقد "المعتدلون" الرصيد الذي حصلوا عليه بوصفهم معارضين، وتزداد الشكوك حول قدرتهم على تحقيق الآمال والطموحات المرتفعة للشعب عقب الثورة، ويتحول موقفهم من الهجوم سلفاً إلى موقف الدفاع الذي لم يألفوه؛ فتتكاثر الأخطاء التي يرتكبونها.

وعلى العكس فإن حكومة المتطرفين غير الشرعية لها سمعة شعبية أفضل يستطيعون من خلالها الادعاء بأنهم كانوا في طليعة الثورة، ولديهم مسؤوليات أقل نسبياً، ولو بشكل مؤقت عن الحكومة الشرعية.

وأثناء محاولة المعتدلين مواجهة المتطرفين تتبادر 3 اختيارات أمام الحكومة الشرعية: إما بقمع الحكومة غير الشرعية، أو محاولة التحكم فيها، أو تركها وشأنها، وبين التشتت بين الخيارات الثلاثة ومحاولة الجمع بينها أحياناً، **ينتج خيار رابع يشجع الحكومة غير الشرعية بشكل إيجابي.**

وغالباً فإن المعتدلين دائماً ما يكونوا مؤمنين بحرية الرأي والتعبير ووسائل الإعلام، وعندما يشرع المعتدل ـ تحت الضغط ـ في قمع صحيفة متطرفة أو سجن زعيم متطرف، فإنه يشعر بتأنيب الضمير، ويستغل المتطرفون الذين لم يتعرضوا للقمع الأمر، ويثيرون الضجة بزعم أن المعتدلين يخونون الثورة، وأنهم يستخدمون نفس وسائل طغاة العهد القديم.

وفي نهاية المطاف ينتصر الثوريون على المعتدلين، ليهرب المعتدلون إلى المنفى أو يودعوا في السجون ليواجهوا المقصلة أو الإعدام، أو إذا كانوا محظوظين تواروا عن الأنظار، وَلَفَّهم النسيان"، و"يتولى الثوريون المتطرفون السلطة في سيادة موحدة".

ـ فشل المعتدلين

"مأساة كبرى" هكذا يوصف برينتن فشل المعتدلين، بالنسبة لمن سماهم بالطبيبين "الذين كتبوا التاريخ الذي نحصل منه على أفكارنا

عن الثورات الحديثة". ويصف برينتن المعتدلين على أنهم دائماً ما يُنظر إليهم على أنهم" أناس صالحين هزمتهم الظروف والخصوم المجردون من المبادئ الأخلاقية، ويبدون مثاليين سحقهم عالم قاس إلا أنهم واثقون بالبعث الذي يمنح التاريخ للعادلين".
ويقول برينتن لعل المعتدلين أفضل أخلاقياً من خصومهم"، وفي رأيه فإن المعتدلين لا يؤمنون حقا بكمال سماوي يهبط فجأة على الناس في الأرض، إنهم جميعاً يدعون إلى الحلول الوسط، والإدراك االسليم والاعتدال والعون، وهذا جزء من قوتهم الذي قد يمنحهم السيطرة على أطياف عدة في المجتمع."

3- مرحلة الأزمة

"الأزمة"، تبلغ الثورة الذروة عندما يصبح المعتدلون عاجزين عن أداء مهمة حكم البلاد، ويطيح بهم المتطرفون أو اليسار السياسي بالقوة، ويبدأ حكم الإرهاب، حيث يشرع المسرفون في التطرف بالتخلص من المعارضة باستخدام العنف. كما تتورط الحكومة الجديدة عادة في حرب خارجية في محاولتها نشر مبادئ الثورة. وتصبح الحكومة وسط حرب المتطرفين بالداخل والحرب الخارجية، وتتفاقم الأزمات الاقتصادية، وبالتدريج تبدأ الثورة بفقد زخمها ولا يعود الشعب يساندها إلا خوفاً من "التطهير" وفي السطور التالية شرح أكثر عمقاً لتلك المرحلة:

"يربح المتطرفون لأنهم يضمنون السيطرة على الحكومة غير الشرعية ويقومون بتحويلها إلى انقلاب حاسم على الحكومة الشرعية"

وبذلك تتشكل ""الأزمة" التي تسبب فيها المتطرفون الذين يتميزون بقلة عددهم مع إيمانهم المتعصب والشديد بقضيتهم، وتعد هذه أحد أبرز مميزاتهم في العمل السياسي إذ تصعب إدارة الأعداد الكبيرة كما هو الحال في ميدان القتال، **ولا يمكن مواصلة حُمَّى التطرف في عدد كبير من الناس لفترة طويلة فـ"الجماهير لا تصنع الثورات" ولكنها يمكنها المشاركة في بعض المواكب المؤثرة حتى تنتصر القلة ""النشيطة" في الثورة، تلك القلة التي تمتلك التصميم والطاقة والانضباط والحراك السريع المنظم.**

ويستخدم المتطرفون مهاراتهم المنضبطة في تحقيق أهدافهم الثورية من خلال تكوين جماعات ضغط ناجحة تقوم بـ:"الدعاية وحشد الناخبين، والتأثير على القضاة والمشرعين، وقتال الشوارع، والمقاومة غير العنيفة"، إذا المتطرفون غير أبرياء، ولديهم خبرة طويلة في التدريب المكثف على الحكم الفعلي قبل أن يتولوا السلطة بشكل كامل.

وتوصف حال الأشخاص العاديين ""اللا منتمين" أثناء فترة الأزمة بحكم المتطرفين، ويضيف برينتن في ""تشريح الثورة"": ""يُمنع المواطن العادي من متعه العادية، ويُرغم على الكفاح أو على الأقل الهتاف طويلاً وعالياً للدولة الثورية في صراعها مع الأعداء الخارجيين والمدنيين،، ويتعرض إلى المعاناة من الندرة التي ترافق الحرب والعيوب المحتملة في الحكومة الجديدة، ويُحَثُّ على الاستجابة إلى ذروة الظروف الثورية في الصحافة والمسرح ومنبر الوعظ والمظاهرة الجماهيرية، ويُورط على نحو لا مفر منه

في الاهتياج العصبي والمرهق الشائع الذي تتسم به فترة الأزمة، فيجد إن عاجلاً أو آجلاً أن هذه الضغوط لا تُحتمل ويستعد للترحيب بكل من يستطيع وضع حد لها.. ويبدو مرجحاً أن ثمة نوعاً من نقطة الإشباع في الدعاية السياسية المفرطة التي تؤدي إلى نتائج عكسية".

أما عن الثورة بالنسبة لـ" المنتمي" والمؤمن الحقيقي في وقت الأزمة "فيصبح تدريجياً أقرب للامنتمي؛ فبعد مدة تبدأ الثورة في استنزافه ويشرع في الإعراب عن التردد والشكوك، ويبدأ الشعور بالملل من المراسم التي لا تنتهي، والتفويضات واللجان والمحاكمات وعمل المليشيات، والنشاطات الأخرى الضرورية لتحقيق سيادة الفضيلة في العالم، غير أن المخلصين حقاً يبقون إلى النهاية، ويبدو أن هذا المنتمي يجد في خدمته المخلصة للثورة معظم الرضا النفسي الذي يزوده به الدين".

4 ـ الصراعات الطبقية

دائماً ما يُحَرك المتطرفون دوافع اقتصادية للتعامل مع معارضيهم، إذ تشاركت الطبقات في الصراعات الطبقية، وكان دائماً ما تصادر الأحزاب المنتصرة التي تعتبر نفسها "الشعب" أملاك الكثيرين إن لم يكن معظمها من مَن: "يعلنون بعناد بأنهم من الأحزاب المهزومة".

5 ـ النقاهة- مرحلة الخلاص

يعرف برينتن هذه المرحلة بفترة "النقاهة" والتي تبدأ بما يسمى العودة البطيئة غير المنتظمة إلى الهدوء، فمع تزايد ضعف الثورة

تدخل البلاد فترة الانتعـاش، **ويتولى السلطة حاكم مركزي قوي في الحكومة الجديـدة، ويشرع في عملية إعادة الاستقرار إلى البلاد. ويستبعد ويقمع زعماء الثورة الأكثر عنفاً وتطرفاً. كما يُمنح المعتدلون عادة العفو. ويبـدأ النـاس في التخلص من أي علامات باقية من علامات الثـورة ويغيرون ملابسهم وأسلوب حياتهم في محاولة لنسيان الثورة، ويتخلون فـي تلك العملية عن الكثير من العقائد المتسمة بالتطرف التي يؤمن بها الثوريون ."**

ـ الخلاصة

يستنتج برينتن أن الثورة تعود في النـهاية لنظام أقرب للنظام التي قامت عليه الثورة في الأساس! مع تطبيق بعض الإصلاحات التي تطيح بأسوأ ما كان عليه النظام القديم، غير أن الوضع في مجمله يصبح مشابهاً لفترة ما قبل الثورة، بحيث لا يمكن وصف التغيير الذي تحدثه الثورة بـ"الجوهري".

الثورة والمفاهيم القريبة منها

يتداخل مفهوم الثورة بشدة مع مفاهيم أخرى مقاربة كالانقلاب، والانتفاضة، والعنف والتمرد، والفتنة والفوضى، كما تمتد جذورها كظاهرة إنسانية عميقاً في تاريخ الإنسانية، وهي ملازمة على الدوام لنشأة النظم السياسية، تطفو على السطح كلما جنحت هذه النظم عن إطار مشروعيتها، ومالت السلطة فيها إلى الاستبداد والديكتاتورية.

ومن الواضح أنه لا يمكن أن نطلق صفة (الثورة) كثيراً على الانتفاضات الكبرى في التاريخ الإنساني إلا من خلال قياس مدى قدرتها على إحداث نقلة نوعية عميقة في بنية المجتمع مادياً من خلال الاقتصاد والتنمية، ومعنوياً من خلال نظام سياسي بنخبة جديدة، وتكريس منظومة قيم اجتماعية جديدة.

بمعنى آخر، قدرة الانتفاضة الشعبية الكبرى على اكتساب مضمون ثوري هي من خلال قدرتها على التأسيس لمتغيرات جديدة، تعيد رسم خارطة موازين القوة في المجتمع وفق رؤية جديدة.

"كما أن الأفكار الثورية لوحدها ليست ذات قيمة، فإن الثورة الشعبية بدون أهداف وأساس نظري للتغيير ستكون بلا جدوى وستنتهي إلى غير ما يحلم به الثائرون"

ولا يقتصر مفهوم الثورة على الجانب السياسي، فقد أصبح من الشائع أن يطلق هذا المصطلح على أنماط أخرى: كالثورة التكنولوجية، أو ثورة الاتصالات. وعلى الرغم من كونها ثورات

مادية لكن معيار الثورة ينطبق عليها بدلالة النقلة العميقة التي تحدثها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والمعرفي للمجتمعات، وهي لا تقل أهمية في تقرير تقدم وازدهار حياة بعض الشعوب.

1- الثورة والانقلاب:

الفرق بين الثورة والانقلاب

على الرغم من ظن البعض أن الثورة والانقلاب قد يمثلان نفس المفهوم، إلا أنه يوجد العديد من الفروقات الجوهرية فيما بينها، فالثورة قد تكون ضد فئة معينة نتيجة التعرض للظلم بعيداً عن التفكير بتولي الحكم من قبل الثائرين، وأهداف الثورة الرئيسية في جو ديموقراطي، وإسترداد الحقوق المسلوبة ورفع الظلم عن المواطنين ربما بعيداً عن استخدام أي نوع من أنواع العنف ضد الطرف أو الفئة المقابلة، لكن مفهوم الانقلاب أساسه مجموعة من الأشخاص يريدون الإطاحة بالنظام السياسي الحاكم بهدف الإستيلاء على الحكم وتنصيب انفسهم حكاماً دون إحداث أي تغيير بنظام البلد ومعيشته. ويستخدم الانقلابيون شتى أنواع العنف وأكثرها قوة دون الاعتماد على مبدأ السلام، وعادةً ما يكون الانقلاب ممثلاً بالفئة العسكرية للدولة من الضباط الكبار والجنود ووزراء الخارجية والدفاع معاً.

وفي حين ان الكثير من النخب المتصارعة تنقلب على بعضها، فإنها تحاول إعطاء الشرعية لحركتها من خلال القول أنها ثورة نابعة من الإرادة الشعبية وتسعى لتحقيقها، فالانقلاب هو انتقال

السلطة من يد فئة قليلة إلى يد فئة قليلة أخرى تنتمي إلى نفس الفئة الأولى التي كانت تسيطر على الحكم أو على الأقل تشبهها، ويكون باستخدام وسائل السلطة الرسمية (كالجيش والقوى الأمنية) دون إحداث تغيير في وضع القوة السياسية في المجتمع أو في توزيع عوائد النظام السياسي، أي أنه تغيير في أوجه الحكام دون تغيير في أحوال المحكومين. والانقلاب نوع من أنواع التمرد، وغالباً ما يكون الانقلاب باستيلاء العسكر على السلطة الشرعية بواسطة القوة المسلحة، وتغيير نظام الحكم بالقوة دون الرجوع للناخبين والعمليات الديمقراطية والسلطة هنا هي الحكومة.

2- الثورة والحركة الاجتماعية:

عرف "**لورانز فون شتاين**" الحركة الاجتماعية في مؤلفه "تاريخ الحركة الاجتماعية في فرنسا من 1789 إلى 1850"، بأنها "محاولات البروليتاريا اكتساب القوة الاقتصادية والسياسية".

وقال **رودولف هيبرل** بأن الحركة الاجتماعية تهدف إلى إحداث تغييرات راديكالية في النظام الاجتماعي العام، وبخاصة في مجالات توزيع الثورة وعلاقات العمل، وبالتالي فقد وسّع المفهوم الذي قدمه **شتاين** ليشمل حركات الفلاحين والحركات الوطنية والفاشية.

كما يمكن تعريفها: ذلك الجهد الموحد والمتصل الذي تقوم به مجموعة من الأفراد لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المشتركة بين أعضائها، وقد يكون معناها أكثر تحديداً ليدل على الجهد الذي يتجه نحو تعديل أو إبدال أو هدم نظام اجتماعي قائم.

أما "**بول ويلكنسون**" فقد وضع عناصر للحركة الاجتماعية وهي: الحركة الاجتماعية هي حركة جمعية مقصودة لإحداث تغيير في أي اتجاه وبأية وسيلة، ولا تستبعد الحركات العنيفة غير القانونية والثورات التي تعدل من بناء المجتمع، وبناءات على هذا فهي تختلف عن الحركات التاريخية، ولا بدّ من ان تتضمن حداً أدنى من التنظيم. كما من المهم أن تعبر عن التزامها بالتغيير الذي يرتكز على الإرادة الواعية، والالتزام المعياري بأهداف ومعتقدات الحركة الاجتماعية.

ومن أهم الحركات في عالمنا المعاصر: الحركة العمالية، الحركة الفلاحية، الحركة الطلابية، الحركة النسائية والحركة الثقافية... ويرجع الإهتمام بهذه الفئات لما تتبناه من أيديولوجيات، وما لأفرادها وقادتها من نوايا، وكذا لضمّها لأغلبية الشعوب والمجتمعات.

وتكون الحركة الاجتماعية في بداية نشأتها ضعيفة التنظيم ينقصها التحديد الواضح من حيث الشكل والأهداف، ولكنها لا تلبث أن تأخذ الطابع المنظم من حيث القيادة وتقسيم العمل والقيم والأهداف. كما تكسب كل حركة اجتماعية وهي في طور النشأة ثقافتها وتنظيمها المميز عن غيرها من الحركات الاجتماعية الأخرى.

وكلما نمت الحركة الاجتماعية اكتسبت شكلاً أكثر تنظيماً، وانطبعت بتقاليد مميزة. كما تتميز بقيادات مستقرة وتتدرج في الوظائف وتتحدد قيمها وقواعدها الاجتماعية أكثر. وقد قسمها **بلومر** إلى:

ـ **حركات عامة:** مثل الحركات العمالية والنسائية.
ـ **حركات خاصة:** مثل الحركات المضادة لنظام الرق.
ـ **حركات التعبير** مثل الحركة الدينية.
ـ **حركات تجديد الأساليب والأنماط** في المعيشة واللباس.
ويبدو جلياً إن للحركة الاجتماعية أهدافاً قد تختلف وتتباين، فقد يكون هدفها قلب نظام الحكم القائم أو تحريم الخمر، أو الاعتراف بالحقوق السياسية للمرأة، أو إلغاء حكم الإعدام، أو إلغاء انتاج الأسلحة النووية والحد من استعمالها.
وبما أن الأهداف تختلف من حركة إلى أخرى، فإن الإمكانيات تختلف أيضاً، **فقد تبدأ من نشر أفكارها والضغط بوسائل الإعلام والمحاضرات وحتى الدعوة إلى الثورة العنيفة. ومهما يكن فإن الدعاية والتبشير هما الميزة الواضحة للحركة الاجتماعية.**
وتتضمن الحركات الإجتماعية والسياسية ثلاثة عناصر أساسية تتمثل في:
الأول، أنها تتضمن تنظيماً أو بناء.
الثاني، أن لديها معتقدات أو مثاليات.
الثالث، يتضمن أفعالاً وقوالب سلوكية يقوم بها الناس المنتسبون إليها. وهذا هو الشكل الخاص لكل من هذه العناصر التي تشكل الحركات الاجتماعية والسياسية، وتعطيها طابعها الخاص بها.
وللحركات الاجتماعية ثلاث وظائف حددها عالم الاجتماع الفرنسي "**جيروشيه**" هي:

ـ الوساطة بين مجموعة من الناس من جهة والأبنية والحقائق الاجتماعية من جهة أخرى.
ـ توضيح الضمير الجمعي، وهي حالة الجماعة التي تكشف نفسها أو مصلحتها وأين تكمن هذه المصلحة.
ـ الضغط على الاشخاص الذين بيدهم مقاليد الحكم.

إن الفرق بين الحركة الاجتماعية والثورة صعب الوضوح، بسبب التشابه الكبير، وهذا يؤدي بالكثيرين إلى المزاوجة بين المفهومين، فالحركة الاجتماعية تنظيم اجتماعي له هياكله ومؤسساته التنظيمية ويهدف إلى تحقيق أهداف بعينها، ومن وسائل هذه الحركات الثورة والتي يمكن ان تكون وسيلة لتحقيق وتجسيد أهدافها، لذلك قد نجد في الثورة الواحدة حركات اجتماعية مختلفة ومتنوعة الأهداف والاختصاصات، تشترك في إشعال الثورة.

3ـ الثورة والانتفاضة:

لفهم الثورة لا بد من القدرة على التمييز بينها وبين المصطلحات المتشابهة ومن بينها الانتفاضة، فنجد في كتابات علم اجتماع الثورة أن الفرق يكمن في كون الثورة تكون سريعة عكس الانتفاضة التي قد تمتد لفترة زمنية أطول، فثورة 1830 في فرنسا كانت بمثابة انتفاضة، لأنها امتدت لمدة ثماني عشرة سنة، وهذا التمييز بين الثورة والانتفاضة لا يتناقض مع ما وصفت به الانتفاضة من حيث كونها وسيلة خاصة للاستحواذ على السلطة بالقوة. وأن **الثورة "حدث مفاجئ يؤدي إلى تغيير راديكالي يقطع**

الصلة بالماضي ويؤسس لنظام يلبي مطالب الثوار والذين هم الشعب وليست نخب متصارعة في بنية النظام".

وفي إطار هذه المفاهيم وتداخلها فإن الأمر يحتاج لتعريف يرى في الثورة عملية تحول مجتمعي وسياسي واقتصادي، ويرى في نخبتها الجديدة غير المركزية وغير الأيديولوجية وغير المؤسسة فرصاً أكبر في مشاركة الجماهير في اختيار نظامها الجديد. ويرفض في الثورة استثنائية قوانينها وإجراءاتها ومؤسساتها، ويؤكد في المقابل مبدأ القانون، واحترام حقوق الإنسان لكل المواطنين، دون أن يكون لقناعاتهم السياسية والدينية والاقتصادية تأثير في مواطنتهم.

ويمكن ان يُضاف إلى التعريفات والمصطلحات السابقة عنوانان:

1 ـ مفهوم الثورة السلمية

في علم الثورات يتم تعريف الثورة السلميّة بأنها "فعل مقاوم" هدفه إنهاء الاستبداد، ويعتمد على المقاومة المدنية بهدف الوصول إلى السلطة وسلبها قدرتها على إخضاع الشعب، وذلك بدفعه للخروج للمطالبة بحقوقه وإظهار العصيان المدني، وأيضاً سحب دعمها للنظام الحاكم. فالسلطة لا تصبح سلطة إلا إذا حصلت على الطاعة والدعم من المجتمع الذي تحكمه .

ويتم العمل كل ذلك بعيداً عن (العنف) الذي يتمثل أساساً في الهجوم العسكري وحرب العصابات والاغتيالات، وذلك نظراً لتكلفة الثورة المسلحة المرتفعة جداً، وتواضع احتمالية نجاح التغيير نحو الحرية.

وهنا نجد مفارقة بين الخيارين، فبينما يحتاج التغيير بالعنف بشكل أساسي للقدرة الجسدية والتفوق المادي، فإنه، وبالمقابل، ان التغيير باللاعنف يحتاج للذكاء العقلي والتفوق الأخلاقي. فالعقل يمكّن من ابتكار وسائل متجددة لرفض النظام المستبد، بينما يضمن التفوق الأخلاقي على (الخصم) اتساع تأييد الشعب للثورة وكسب التعاطف الدولي.

وللثورة السلمية خطوط عريضة كالآتي:

- التحريض الدائم للشعب ضد النظام المستبد
- نشر (الوعي) بين الجماهير بطرق المقاومة المدنية
- توجيه حركة الشارع الثائر ووضع استراتيجية مرحلية
- قطع كل أشكال الدعم الداخلي والخارجي عن النظام.

2 ـ الحرب الناعمة

اليوم اصبح من الممكن أن نضيف إلى مفهوم ومصطلحات الثورة صفة جديدة هي: **الحرب الناعمة**، التي تعتمد على وسائل الاعلام (والتواصل الاجتماعي) أكثر من الاعتماد على الصواريخ والبنادق وعموم الأسلحة. والحرب الناعمة هي اليوم حالة وسطية (بين ـ بين) بين الثورة والحرب، بل يمكن القول إنها الحرب بالقفازات الحريرية التي يُشكل ضحاياها (خسائر جانبية ضرورية)، لا تقصر على الأفراد بل تهزّ عروشاً ورئاسات وتُسقط دولاً في الفوضى وعدم الاستقرار، وان كانت تخرج على نطاق الحرب والثورة إلى توصيف تنفرد به ويشكل خصائصها.

واهم ادوات الحرب الناعمة الاعلام، وخصوصاً الإعلام المتفلت من كل الضوابط والنظم، والمستند إلى ما كان يسمى سابقاً **(الصحافة الصفراء)** أو **(صحافة الفضائح)** غير المرتكزة إلى الحقائق والوقائع، ولكنها تعتمد اسلوب الاثارة والضرب على وتر العواطف والغرائز لا العقل، وهذا التوصيف **(الصحافة الصفراء)** لم يعد يقتصر على الصحافة المكتوبة وحدها، بل أصبح يشمل حتى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمتناقلة عبر وسائل ووسائط التواصل الاجتماعي.

واذا كنا نقول قديماً ان الاعلام سيف ذو حدين، يمكن ان يستخدم لخير البشرية ويمكن ان يكون وبالاً عليها، ثم تطور الامر إلى اعتبار ان الاعلام جعل العالم كله قرية كونية صغيرة يعرف من في أدناها ما يجري في اقصاها بيسر وسهولة وسرعة، اليوم التوصيف الجديد الممكن اطلاقه على هذه الحقبة التي شهدت وتشهد تطوراً كبيراً وسريعاً في قدرة، ليس المؤسسات الاعلامية وحدها، بل أيضاً الافراد، في الوصول إلى الخبر ونقله وتوزيعه بشكل واسع وبفترة قياسية، ولذا **يمكن ان نطلق على ما نشهده اليوم: بيت الاعلام بنوافذ تواصل كثيرة.**

هذا الامر مكّن من استحداث نظام سيطرة جديد ليس على الافراد والمجموعات وحدها، بل على الاوطان دونما الحاجة إلى شن حروب عسكرية مباشرة، وتدمير مدن وقتل الاف بالالة العسكرية، ولكن عبر شنّ (الحرب الناعمة) التي حولت الاعلام إلى قوة فاعلة اكثر من المدفع والبندقية، والتي عرّفها **مايكل آيزنشتات**، الباحث

المتخصص في الدراسات الأمنية والعسكرية في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، بأنها "**استخدام الأقوال والأفعال والصور الإنفعالية كجزء من حملة تواصل إستراتيجي طويلة المدى لتشكيل الحالة النفسية لبلد معادٍ**". وحدّد أن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن تشكل 20% من حملة التواصل الإستراتيجي الناعمة، في حين تتشكل 80% الباقية من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الأرض.

ويقول **جوزيف ناي** – أستاذ العلوم السياسية ومساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنية الدولية في إدارة الرئيس الاميركي السابق بيل كلينتون، والذي اشتهر بإبتكاره مصطلحي القوة الناعمة والقوة الذكية - "**القوة الناعمة هي القدرة على تشكيل تصورات الآخرين**"، وهي "الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام أو دفع الأموال".

وتنشأ **القوة الناعمة** من الجاذبية الثقافية لبلد ما، والمُثل السياسية التي يحملها، والسياسات التي ينتهجها في الواقع.

ويفصل (ناي) تلك القوة إلى ثلاثة أشكال وأنواع "القوة الاقتصادية، والقوة الصلبة العسكرية، والقوة الناعمة الخفية ". وعلى هذا الأساس فالقوة الصلبة لا تنفصل عن القوة الخفية والقوة الاقتصادية، وهذه القوى الثلاث تشكل أبعاد وزوايا القوة والتفوق والهيمنة والسيطرة في السياسة الدولية.

ويتابع جوزف ناي، فيقول "إن سياق القوة قد تغير بفعل عوامل لها صلة بالعولمة وانتشار وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات

ويقظة المشاعر القومية والإقليمية، وعدم ردعية السلاح النووي، وضمور وضعف شهوة الغزو والاستعمار العسكري لدى الدول الكبرى ما أدى إلى تغيير وتبدل في أشكال القوة، لأن معادلات القوة لا تعمل إلا في السياق والإطار الذي توجد فيه علاقات وموازين القوة. فالدبابة لا تصلح لحرب المستنقعات والغابات، والصاروخ والمدفعية لا يصلحان لجذب وكسب الآخرين.

والحرب الناعمة لا تشن للتأثير والدعاية والتلاعب بالرأي العام والإقناع السياسي -ولو بدون توفّر أدلة ذات صدقية كما كان يعرفها قسم الحرب النفسية والدعاية في وكالة المخابرات المركزية الأميركية أثناء الحرب الباردة - فهذه من وظائف الدعاية الكلاسيكية التي انتهت صلاحيتها، ولم تعد تُجدي نفعاً في عصر العولمة والمعلومات، لأن توسع وسائل الإعلام وانتشارها بين أيدي الجميع وظهور لاعبين من غير الدول عدّل مفهوم المصداقية في الخطاب السياسي للدول، ومنع احتكار الدول لسلطة المصداقية هذه، ما أدى، وفق تحليلات (ناي)، إلى القفز نحو اتجاهات ووظائف جديدة أنتجت الحرب الجديدة بحيث أصبحت وظائفها تقوم على "تشكيل التصورات العامة"، و"بناء البيئة السياسية الملائمة لترسيخ قواعد السياسات المطلوب تثبيتها وتمريرها والتسويق لها"، و"نزع الشرعية والمشروعية والصدقية عن الخصم"، و"تغيير شخصية النظام والقيادة لدى الخصم"، و"قلب الحقائق وتحويل نقاط القوة إلى نقاط ضعف ومن فرص إلى تهديدات"، حيث ان كل دولار يُصرف في مجالات القوة الخفية،

أفضل وأجدى بأضعاف من صرف 100 دولار في مجالات القوة الصلبة،

ومن ناحية أخرى، يشهد الباحثون للقوة الخفية في عالم اليوم بأنها الأكفأ والأفعل على توفير القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخاة بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة، وهي الأقدر على تشكيل تفضيلات وخيارات الآخرين وجدول أعمال الآخرين السياسي.

كما أن نوعية الطرف الذي يتولى عمليات الحرب الناعمة مهم جداً، فإذا كان مسؤول عمليات الحرب الناعمة طرفاً مباشراً فحساسية الجمهور تجاهه أكبر، وبناءاً عليه فتمرير الرسائل بطريقة غير مباشرة أهم من الظهور المباشر الذي أصبحت تتحسس منه النخب والجماهير. ولهذا نرى ان من يُنظِر للحرب الناعمة يركز كثيراً على ضرورة العمل عبر "الوكلاء"، فهذا أهم وأفعل من مباشرة التأثير العلني، وهذا جزء من الطبيعة المخادعة والماكرة للحرب الناعمة.

فكيف إذا اضيف إلى مكونات الحرب الناعمة مفهوم الحرب المعرفية؟ التي يتستر بها كثير من ادعاءات الحرية في الوصول إلى المعلومات والشفافية التي تخرق حواجز الامان في الدول والمؤسسات وصولاً إلى التعدي على حريات أفراد وشخصيات وأنظمة حكم بدون استئذان وبدون روادع اخلاقية ومهنية، حيث تُستباح كل المحرمات لأهداف الابتزاز والسيطرة والتحكم؟

دور وسائل التواصل الاجتماعي في الثورات:

وكون أن مواقع التواصل الإجتماعي، اليوم، هي أحدى وسائل نقل الأخبار وتشكيل البناء الإدراكي والمعرفي للفرد أو المجتمع، جعلها تساهم في تشكّل رؤية الفرد والمجتمع اتجاه قضايا مجتمعه والقدرة على تحليلها وإستيعابها لإتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا بما يتضمن ردود الافعال المتشكلة سلباً أو ايجاباً.

ولعل الدليل الظاهر بلا مواربة لدور وسائل الاعلام ووسائطه ما نشهده اليوم من تدخل واضح لوسائل الاعلام عموماً بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي في قولبة الاخبار بحيث تصبح وسيلة ما (قناة الثورة) والناطق الرسمي باسمها والمدافع عنها والشارح والموضح لمكنوناتها واهدافها بغرض اقناع (الجماهير) المستلبة الارادة بافكار (الثورة) وشعارات (الثوار).

فوسائل الإعلام أضحت قادرة على تغيير سلوك وأنماط المجتمع، وهي أحد وسائل التنمية الاجتماعية، وتأثيرها بعض الأحيان قوي جداً وقادر على نشر أنماط سلوكية وثقافية واجتماعية ينتهجها الفرد أو المجتمع.

إن توجيه وتحريك الرأي العام السياسي يتم من خلال برامج حملات ونقاط تحدد التوجيه السياسي من خلال الأداء الإعلامي ضمن عمليات التفاعل المتبادل، مما يستوجب:

- معرفة أن المعلومات المُكوِّنة للرسائل المسوّقة هي جزء هام من المنظومة الإعلامية المستخدمة. هذا الأمر يحدو إلى اختيار

المعلومات المراد تسويقها سياسياً، وصياغتها في أشكال صحفية تسهّل عملية نشرها وبثها.

- معرفة أن المعلومات أو الرسائل المراد تسويقها عبر الإعلام ترتبط وتتأثر بشكل كبير بالقيادات والقوى المتحكمة بالمجتمع.
- فهم أن العلاقة بين مرسلي الرسائل المراد إرسالها للشريحة المجتمعية والسياسة المعينة والمحددة في المؤسسات الإعلامية المستخدمة في ذلك، يجب أن تكون منسجمة ومتناغمة، وهمّ ـ المرسلون ـ الذين يحددون السياسة التحريرية أو يؤثرون عليها بشكل كبير، وبطريقة تحدد أولويات النشر والبث، وتحديد الممنوعات والقواعد الخاصة بذلك ذاتياً من قبلهم.
- التيقن والالتزام بأن المسوِّق السياسي هو من ينتج أو يشرف على إنتاج (الرسائل) في المؤسسات الإعلامية.
- معرفة أن مُعدي الرسائل المسوقة عليهم التيقن بأن رسائلهم قد أفضت إلى تفاعلات واستجابات متساوقة مع أهداف الرسائل من قبل الجمهور المتلقي. ومن المطلوب بقوة أن يسبق ذلك اللجوء إلى الأبحاث الأولية عن معارف الجمهور المستهدف واتجاهاته وعاداته وقيمه وسلوكه، حتى يتمكن المسوقون السياسيون من الوقوف مسبقاً على ردّ فعل الجمهور المستهدف، وأيضاً القدرة على إعادة توجيهه بما يتلاءم مع أهداف الرسالة بالأساس.

أسباب الثورة

إن الثورة هي إفراز لواقع اجتماعي، وهذا الواقع يختلف من مجتمع إلى آخر، لذلك لا يمكن الجزم بأسباب محددة بعينها تتوفر في كل الثورات لأن كل ثورة هي وليدة سياق معين، لذا تتعدد الأسباب بتعدد الظروف. فمنذ القديم شغلت الثورة الفلاسفة والمفكرين وبحثوا عن أبرز عواملها، فنجد أن **أرسطو** أفرد للثورة الفصل السابع من مؤلفه الشهير **"السياسة"** حيث يعتقد أن أسباب قيام الثورة تعود إلى عدم المساواة. كما أن أرسطو يُرجع أسباب قيامها إلى عنصر أساسي وهو عدم الرضا عن الوضع القائم، وقد اعتبر هذا العلّة العامة التي تهيئ النفوس للثورة.

وهناك من يحصر أسباب الثورة في العوامل الاقتصادية ومن أبرز المنادين بهذا **نجد سان سيمون وكارل ماركس وكل اليساريين**، إذ يرى سان سيمون أن التطور التاريخي للجماعات البشرية هو صراع دائم بين الطبقات الاقتصادية في المجتمع بين من يملكون ومن لا يملكون. أما ماركس فيعتقد أن جميع الثورات مهما اختلفت أشكالها ذات طبيعة واحدة، فالثورة حسب رأيه مرحلة طبيعية وحتمية في حياة المجتمعات، ويؤكد ماركس على علاقات الإنتاج والتوزيع والتي تؤدي إلى سلسلة من الثورات تنتهي في آخر المطاف بثورة البروليتاريا.

وفي نفس الاتجاه نجد **فلاديمير لينين** ومن بعده دعاة نظرية التخلف، يؤكدون على أن التخلف عامل حاسم للتغيير، وبالتالي

تصبح الثورة حتمية، حيث أن القهر والسخط الملتهب يمكن أن يخلق جواً ثورياً.
ويرجع هذا التخلف والفقر إلى سيطرة طبقة أوليغارشية (حكم الأقلية) على كل مصادر الدخل والرفاهية في المجتمع، وإهمال أو إغفال حاجيات الشعب بغالبية فئاته، وبالتالي يصبح الجو ملائماً، لنمو السخط والشقاق الاجتماعي، والذي غالباً ما يواجه من قبل النظام القائم بالقمع، الآمر الذي يؤدي إلى ازدياد السخط بين الثوار. وما يميز غالبا حكم هذه الأوليغارشية إعتمادها على الآلة القمعية وقمع المطالبات بالتغيير. لكن هذه الطبقة تهتز وتتخلخل بفعل الثورات الشعبية الناتجة عن عدم المساواة في التوزيع العادل للثروات.
ولا يمكن حصر الثورة في أسباب اقتصادية فقط، فعلماء النفس يؤكدون على أن هناك عوامل نفسية تهيئ الأذهان للثورة، مثل وجود الأوضاع الظالمة في المجتمع، إلى جانب إحساس الأفراد بالظلم الواقع عليهم. إضافة إلى الظلم الاجتماعي الناتج عن استئثار قلة من الناس بخيرات البلاد، ونظام الحكم العبودي الذي يؤدي إلى الكبت والقهر، مما يجعل الشعب يعيش حالة الخوف الدائم ويؤدي به في النهاية إلى الانفجار في وجه هذا الواقع.
ولعل الأسباب متعددة وتتقاطع في العديد من الثورات وهذا ما أثبتته الثورات المتنامية في الوطن العربي ككرة الثلج بسبب الظلم الواقع على الشعوب، وعقود القهر المتوالية إضافة إلى فشل قيام الدولة الوطنية المرتكزة على المواطنة، وبسبب سيطرة نخبة على

مقدرات الشعوب مما ادخلها في موجات من التخلف والفقر زاده الظلم والاستبداد المعتمد على الأجهزة الأمنية، ومما **زاد سخط هذه الشعوب ثلاثية الاستبداد: الاستبداد السياسي، الاستبداد الاجتماعي، الاستبداد الاقتصادي.**

فالاستبداد السياسي معروف على أنه احتكار الحكم ومنع أي مشاركة للشرائح الشعبية والقوى المختلفة من تقاسم السلطة، أما الاستبداد الاجتماعي فهو وليد غياب العدالة الاجتماعية وسيطرة فئة محدودة على المقدرات وإقصاء غالبية البناء الاجتماعي مما يفرز ظلماً اجتماعياً وأمراضاً داخل المجتمع نتيجة لهذا الواقع، ويشعر المواطن أن هذا النظام لا يعبر عنه، بل يعبر عن فئة محدودة.

والاستبداد الاقتصادي هو إحتكار المقدرات، لكن ظهر نمط جديد منه بسبب تزاوج المال والسلطة، أي تحالف رجال الأعمال والسياسيين، مما جعل الدولة والشعب وكل المقدرات في خدمة هذه الفئات، وأدى هذا إلى تركّز رأس المال والعوائد في عدد محدود وقليل على حساب الغالبية، مما يفرز نمواً لعوائد رجال الأعمال، وفقراً بسبب غياب التنمية، وهو نموذج تنموي مشوه. ومن ثم فالأسباب عديدة ومتنوعة، وتختلف باختلاف السياق الزماني والمكاني وبتباين البناء الاجتماعي لكل دولة وطبيعة تكوينها في الأساس.

مراحل الثورة

إن أي عملية ثورية تمر بعدة مراحل ومستويات لتحقيق الأهداف الثورية، ويرى "**كرين برينتين**" أن العلامات الدالة على اقتراب الثورة في المجتمع، لا تكون عادة واضحة، ولكن تكون هناك ضغوطات ومصاعب متزايدة يؤدي تفاقمها إلى انهيار النظام السياسي، وعندما تتفكك الشرعية يعمد النظام إلى الوسائل القسرية، في هذا الوقت تكتسب جماعات لم يكن لها وزن من قبل تكتسب قوة ونفوذاً وتأثيراً على الحركة الثورية، وترفع شعار تحطيم النظام القائم، وهنا يتم التمييز بين عدة مراحل للثورة:

- **المرحلة الأولى:** وتتميز بالآمال الطوباوية، وفيها يلتف الثوريون خلف الشعارات والآمال العريضة، وهذه المرحلة لا تدوم طويلاً.
- **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة انقسام النخب الثورية إلى معتدلين ومتطرفين، وغالباً ما تنتهي هذه المرحلة بهزيمة المعتدلين، وتركز السلطة في أيدي المتطرفين أو المحافظين، وقد يستخدم العنف في هذا الصراع البيني.
- **المرحلة الثالثة:** وفي هذه المرحلة وبعد سيطرة قيادة موحدة على الثورة، تسعى هذه الأخيرة لتحقيق الأهداف الثورية بأي ثمن.
- **المرحلة الرابعة:** تخف في هذه المرحلة حدة المطالب والشعارات الثورية، وتتراجع الحماسة، وعادة ما يتولى الحكم فيها رجل قوي يحمل صدى الثورة، وتعتبر مرحلة حكمه هي المرحلة الخامسة.

إلا أن هذه المراحل ليست واحدة في كل الثورات، فقد تتقاطع الثورات في بعض هذه المراحل، وقد تختلف في البعض الآخر

لأن كل ثورة هي وليدة ظرف خاص أدى لظهورها، يعود لمجموعة من العوامل المجتمعية والسياسية والاقتصادية وغيرها..

نظريات تفسير الثورات

يري **أفلاطون** في **(الجمهورية)** أن استيلاء الكثرة على الحكم يشبه تمرد البحارة على الربان، حيث يدّعي كل منهم حق القيادة، دون أن يتعلم هذا الفن، مع كل ما يصاحب ذلك من تصارع واقتتال، ثم بعد نجاح المتمردين تنفذ المؤن وينحرف مسار السفينة.

وقد ورث **أرسطو** هذا الموقف المحافظ نفسه تجاه الثورة من أستاذه. فمع أنه خصص فصلاً كاملاً من كتاب **(السياسة)** لتحليل الثورة في نظم الحكم المختلفة، فهو يبدأ في تحليل أسباب الثورات، حتى يخلص إلى أساليب الوقاية منها والحفاظ على كيان الدولة. فالثورة لا تزيد عند أرسطو على كونها شراً لا بدّ من الاحتراس من بداياتها، فالأخطاء تكمن دائماً في البدايات التي يؤدي التهاون معها إلى انفلات الأمور..

ويفسر **ليو شتراوس** هذا الموقف المحافظ تجاه التغيير الثوري في **(الفكر السياسي الكلاسيكي)**، داخل التقاليد الفلسفية لهذا الفكر ذاته. إذ تتسم الفلسفة السياسية **لأفلاطون وأرسطو** بما يسميه **(اليوتوبية التقليدية)** التي تشدد على وجود مسافة بين المثال النظري والواقع العملي، بما يجعل تحقق نظام الحكم الأمثل أمراً يعتمد على مصادفة قد تتحقق وقد لا تتحقق، ولم يكن أحد يؤمن بأنه سوف يتحقق بالفعل. لكن ذلك لا يدفع إلى التخلي عن تصور نظام الحكم الأمثل، بل يجعل الباب مفتوحاً من وجهة نظر الفلاسفة أمام إمكانية إدخال إصلاح حقيقي على أي نظام للحكم في الواقع.

وسعى الفيلسوف الألماني **كارل ماركس** إلى تغيير العالم، حينما أحلَّ العالم البشري محل العالم الطبيعي، وكذلك الصيرورة التاريخية محل الصيرورة الطبيعية، بما يجعل تحقق النظام الأمثل للحكم ليس من قبيل المصادفة، وإنما هو عملية آلية حتمية، وإن كان يعوق مسارها بعض النوازع البشرية والمصالح الخاصة، يصبح من المشروع استئصالها ولو بالقوة. وهكذا، أعطي التصور الحديث لماركس الشرعية للثورة كمنهج للحركة السياسية، بغية تغيير الأوضاع القائمة لإقامة نظام مثالي، سيتحقق حتماً في الواقع.

وقد كان استيعاب ماركس للثورة ومنحه إياها الشرعية كأداة للتغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي، في إطار فلسفة تاريخية ـ اجتماعية تطوي المسافة بين المثال والواقع، مما دفعه لأن يكون ناشطاً سياسياً، بالإضافة إلي كونه مفكراً. ولذلك، تنامت أفكاره مع الممارسة التي طرحت عليه قضايا وأسئلة متنوعة تتعلق بالحركة البروليتارية، وقدم هو لها إستجابات مختلفة بحسب الموقف، ولكن في إطار فلسفته العامة.

وتنطلق نظرية ماركس عن الثورة من تحليل للأوضاع الطبقية في المجتمع، حينما يبلغ التناقض مداه بين علاقات ملكية وسائل الإنتاج وقوي الإنتاج، ويعايش المجتمع حالة استقطاب حادة بين الطبقة الحاكمة للمجتمع بسبب ملكيتها لوسائل الإنتاج، وتلك الطبقة المحكومة التي تشكل أغلبية المجتمع وتتحمل كافة أعباء التناقضات الطبقية، فيتولد في هذه الطبقة المقهورة وعي بضرورة

قيام ثورة جذرية. ويؤكد ماركس ضرورة الثورة، ليس فقط لعدم إمكانية الإطاحة بالطبقة الرأسمالية الحاكمة بأية وسيلة أخري، ولكن أيضاً لأن العمل الثوري هو السبيل الوحيد لطبقة البروليتارية المقهورة، حتى (تتطهر) من أدران العصور الماضية، وتتهيأ لخلق مجتمع جديد.

إذن، ستتولد الثورة عند ماركس من رحم الصراع الطبقي بين البرجوازيّة والبروليتاريّة، وستكون المهمة التاريخية للبروليتاريا هي أن تتحرر من خلال تحطيم كافة الطبقات.

وقد اعتبر ماركس أن استخدام الأساليب السلمية أو العنيفة أثناء الثورة مسألة تتعلق بالاستراتيجية والتكتيكات التي تسعي لتحقيق أهداف الثورة، إذ تحدد الشروط الاجتماعية والتاريخية في مكان وزمان معينين الأساليب التي يتعين استخدامها، ولم يُسقط ماركس إمكانية استخدام العنف، لتصوره أن الطبقات الحاكمة لا يتوقع أن تتخلي عن السلطة دون وجود مقاومة مسلحة.

مرحلة ما بعد الثورة

يتناولها ماركس في إطار مفهوم "ديكتاتورية البروليتاريا"، إذ ستقوم تلك الديكتاتورية في المرحلة الانتقالية بين هزيمة الرأسمالية وانتصار الاشتراكية، وسيقع على عاتقها تحطيم كافة الطبقات وإقامة مجتمع لا طبقي.

ونظرا لأن **ماركس** لم يورد تعريفاً محدداً لديكتاتورية البروليتاريا، فإن أفكاره عن مرحلة ما بعد الثورة أو الفترة الانتقالية المؤقتة التي تقوم فيها تلك الديكتاتورية تتسم "بالغموض المفاهيمي".

فتذهب بعض التأويلات لأفكار ماركس إلى أن ديكتاتورية البروليتاريا هي مجرد جانب من جوانب المرحلة الانتقالية يستهدف حماية الثورة من معارضة البرجوازية، لكن هناك تأويلات على النقيض من ذلك تجعل المرحلة الانتقالية تتطابق مع ديكتاتورية البروليتاريا، التي سوف تتحكم في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بعد نجاح الثورة.

وبعيداً عن نطاق ديكتاتورية البروليتاريا، لم يحدد ماركس أيضاً سمات أو أدوات هذه الديكتاتورية، فهي لا تشير عنده إلى أبعد من حكم البروليتاريا، ولا يوجد في كتاباته ما يدل على أن حكم البروليتاريا سيكون من خلال الحزب الواحد الذي يدعي لنفسه الحكم، نيابة عن تلك الطبقة، للقيام بمهامها التاريخية في مرحلة ما بعد الثورة.

ورغم النقلة التي قام بها **كارل ماركس** في إطار تقاليد الفلسفة السياسية واستيعابه للثورة كأداة مشروعة للتغيير، في إطار نظرية اجتماعية وتاريخية شاملة، فإن مرحلة ما بعد الثورة أو المرحلة الانتقالية لم تتضح معالمها في كتاباته بسبب الغموض والتضارب الذي أحاط بمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا لديه.

وكان على النظرية الماركسية أن تنتظر مجيء **فلاديمير لينين** الذي قام بسد الفراغ التنظيري فيما يتصل بمرحلة ما بعد الثورة. ومع أن لينين ذاته كان يؤكد قبل قيام الثورة الروسية عام 1917 أن أوضاع أوروبا تنبئ بضرورة نشوب انتفاضات شعبية تحت

قيادة البروليتاريا، فإنه لم يتوقع أن جيله سوف يعيش ليري مشاهد تلك الثورة.

لكن **لينين**، وهو في المنفي، استطاع أن يطوّع نظريته ليسبر غور الواقع الثوري المضطرب ويفهم ديناميكيات الثورة، وليجعل من تحليلاته أداة لتحريك هذه الديناميكيات في الاتجاه الذي يتيح لحزبه الوصول للسلطة، ووضع رؤيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - في إطار المفهوم الماركسي السابق لديكتاتورية البروليتاريا- موضع التنفيذ.

في القرن العشرين، صارت ظاهرة الثورة موضع اهتمام شديد من قبل الباحثين في مجالي التاريخ والعلوم الإنسانية، الذين قاموا بدراسة التجارب الثورية، ابتداء من الثورة الفرنسية عام 1789، باعتبارها نموذجاً كلاسيكياً للثورة، انتهاء بالثورات الديمقراطية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، مروراً بالثورة الروسية عام 1917، والثورة الإيرانية عام 1979.

ونتيجة تراكم هذا الرصيد من الدراسات عن الثورة، قسم الباحثون تلك النظريات أو الجهود التي سعت لتفسير ظاهرة الثورة إلى أربع مراحل أو أجيال متمايزة:

الجيل الأول من نظريات الثورة:

كان في الفترة الزمنية بين عامي 1900 و1940 تقريباً، واتسمت الجهود فيه بالطابع الوصفي، حيث اهتم الدارسون بتحديد المراحل الرئيسية لعملية الثورة أو وصف التغييرات الاجتماعية الناتجة

عنها. لكن تلك الدراسات افتقرت إلى العمق النظري الذي يمكنها من الوصول لفهم واضح لظاهرة الثورة من حيث الأسباب والنتائج.

الجيل الثاني من نظريات الثورة:

يقع في الفترة بين عامي 1940 و1975 تقريباً، واهتمت الجهود فيه بتطوير أطر نظرية واضحة، تفسر أسباب وتوقيت نشوب الأوضاع الثورية. وتتقاسم جهود هذا الجيل الثاني أربعة تقاليد نظرية:

1 ـ التقاليد النفسية المرتبطة بمفهومي الإحباط،

2 ـ الحرمان كأساس لتفسير ظاهرة الثورة،

3 ـ التقاليد السيسيولوجيا المرتبطة بمفهوم عدم التوازن أو الخلل الوظيفي بحسب الإطار البنائي ـ الوظيفي كمقدمة لحالة الثورة.

4 ـ تقاليد العلوم السياسية المرتبطة بنظريات التعددية وجماعات المصالح والصراع التي تحاول فهم أسباب الثورة وتكييف طبيعة الحدث الثوري.

الجيل الثالث من نظريات الثورة:

يقع في الفترة بين عام 1975 وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، فتقوم الجهود فيه بالتركيز على منطلقات تحليلية لم تكن موضع اهتمام الجيل الثاني، ومنها التركيز على الدولة كفاعل مستقل، وليس مجرد ساحة للصراع بين القوي الاجتماعية والسياسية المختلفة، وكذلك أثر الضغوط الدولية السياسية والاقتصادية على الهياكل الاقتصادية والاجتماعية المحلية في

إحداث تغييرات اجتماعية واسعة في المجتمع محل الدراسة، والتركيب البنيوي للمجتمعات الفلاحية التي اتسمت محددات مشاركتها في الثورة بالتعقد والغموض. وهناك درجة تماسك المؤسسة العسكرية، ودرجة وجود عوائق بنيوية على استخدام الأنظمة الحاكمة لتلك المؤسسة في معالجة الأزمات الداخلية.

الجيل الرابع من نظريات الثورة:

الذي بدأت الجهود المنتمية إليه تتلاحق في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، لتواكب اندلاع ثورات في أوروبا الشرقية وإيران وغيرها من البلدان، في محاولة للارتقاء بالجهود السابقة، ولتوليد مداخل ومقاربات جديدة لفهم ظاهرة الثورة.

فعلى سبيل المثال، تحاول جهود الجيل الرابع تجاوز ثنائية البنية ـ الفاعل الشهيرة في الدراسات الإنسانية من خلال معالجة تلك المسألة بطريقة جديدة تربط قضية الفاعل بمستويين:

ـ الأول المتعلق بالقوي والتحالفات القائمة على أرض الواقع،

ـ والثاني المتعلق بالأفكار والثقافة والقيم والمعتقدات التي تحفز تلك القوي أو الفاعلين على الحركة.

وكذلك، ترتقي جهود الجيل الرابع بالدراسات السابقة المتصلة بدور البنية الاجتماعية في الحدث الثوري عن طريق إبراز تعقد البنية الاجتماعية بإعادة الاعتبار لأدوار الجماعات الإثنية والعرقية والدينية، بل والنوعية، وبالتالي عدم اختزال البنية الاجتماعية في التقسيم الطبقي للمجتمع.

وكردّ فعل للتركيز الزائد على العوامل الاقتصادية والسياسية في دراسات الجيل الثالث، تسلط جهود الجيل الرابع الضوء على دور العوامل الثقافية والأيديولوجية في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي لاستيعاب مفهومي الثقافة والأيديولوجيا في الأطر النظرية والتحليلية الباحثة عن أسباب تفسر الحدث الثوري.

إذن، تقوم جهود الجيل الرابع على فكرتيّ النماذج المركبة المتعددة الأبعاد والمستويات، وكذلك المقارنة بين حالات تاريخية متنوعة، وتنأى عن الاختزال والقوالب الجاهزة القائمة على الأحادية السببية.

وفي إطار هذه المراحل وهذا التطور، تتعدد المداخل النظرية المفسرة لظاهرة الثورة وتتنوع، فكل مدخل أو نظرية اقتربت من الثورة من خلال زاوية معينة وحاولت اعطائها مدخل يتناسب مع زاوية المقاربة التي نظرت منها إلى الثورة، ومن أسباب الاختلاف التفسيري التباين الأيديولوجي واختلاف التخصص العلمي، فقد تنوجد مداخل فرعية، وأخرى رئيسية لدراسة الثورات، وسنحاول العرض لبعضها:

1 ـ مدخل تحليل التاريخ الطبيعي:

يحاول أن يقدم تفسيراً للمراحل المختلفة داخل العملية الثورية، ومن أبرز رواد هذا المدخل **جورج بيتي وكرين برنتين**، حيث ركزا على دراسة النتائج الرئيسية للأعمال والأفعال التي تحلل مصادر التذمر والعنف التي تختزنها أو تشعر بها الجماهير في الزمن السابق واللاحق للثورة.

2 ـ المدخل النفسي:

يبحث عن العوامل النفسية التي تدفع بالشخص لكي يشارك في الحركات الثورية، ويتزعم هذا المدخل **جوستاف لوبون** الذي يعرّف الثورة على أنها **"مجموعة من التحولات الفجائية في المعتقدات والأفكار والمذاهب"**، ويرى لوبون أن المشاعر والعواطف هي دعائم المعتقدات السياسية والرئيسية. وهناك من علماء النفس من يرى الثورة تعبيراً عن سيكولوجية الحشد ويقارنونها مع الارتدادات إلى العقلية البدائية التي يمكن ملاحظتها في حالات الانهيار العصبي.

3 ـ التفسير النقدي الارتقائي (المتفائل):

ساد في القرن التاسع عشر بين أحزاب ومفكري اليسار، وهو لا يزال سائداً في النظرية المادية التاريخية، وطبقاً لهذا التفسير فإن الثورات السياسية والاجتماعية هي أدوات للتقدم الحتمي للبشرية، وهذا الاتجاه في علم الثورة ينقسم إلى عدة اتجاهات، فالبعض ضمن هذا التفسير يرى أن المساواتية هي العلامة الأبرز على التقدم، أما الاتجاه الثاني، والذي يعبر عن النظرة الليبرالية، فيرى أن الانتفاضات الجماهيرية لا تكون تقدميّة أصلاً إلا عندما تكون موجهة ضد الحكام المستبدين، وهادفة لإقامة حكم حرّ.

4 ـ التفسير المحافظ (التشاؤمي):

ظهر خلال فترة الثورة الفرنسية وما بعدها، ومن أبرز مفكريه **نيتشه**، وهذا الاتجاه يتقاطع كثيراً مع المدخل النفسي لتحليل

الثورة، ويرى هذا التفسير إن الثورة هي انفجارات شبه بربرية خارجة عن السيطرة، وانفعالات جماهيرية مدمرة.

5 ـ نظرية الحق الطبيعي:

تجسد هذه النظرية المفهوم البرجوازي للثورة وتعبر عن آراء أنصارها، فيعتقد دعاة نظرية الحق الطبيعي أن الثورة ضرورية لتوطيد الحرية والإخاء والمساواة، وكانت النظريات البرجوازية من أول نظريات الثورة في علم الاجتماع، وتؤكد هذه النظرية أن الأفعال الثورية ضرورية بسبب حقوق طبيعية معينة للإنسان، وبعض المبادئ الخالدة عن العدالة، وليس بسبب الحاجات المادية الناضجة للتقدم الاجتماعي، وقد انقلب دعاة هذه النظرية فيما بعد على الثورات واعتبروها عارضاً غير طبيعي في المجتمعات.

كما لقيت هذه النظرية نقداً شديداً من **سان سيمون وأوغست كونت وكارل ماركس**، إذ وصفها الأخير بأنها ليست علمية، وأكد على الطابع الحتمي للثورات التي تحدث نتيجة ضرورات اقتصادية في مجتمع ما.

6 ـ المذهب الفوضوي:

من أبرز دعاة هذا المذهب كل من **برودون وكروبوتكين**، وذهبوا جميعاً إلى أن الثورات تحاول تحقيق العدالة بواسطة القوة، ولكن الذي يحدث فعلياً هو أن يحل استبداد محل آخر، ومع ذلك فإن كل ثورة، مهما تفككت وأصابها الإفلاس، تدخل على المجتمع قدراً معيناً من العدالة، ومن شأن هذه الإنجازات الجزئية أن تفضي في النهاية إلى انتصار العدالة.

7 ـ البنائية الوظيفية:

كانت النظرية البنائية الوظيفية من أبرز النظريات التي حاولت تفسير ظاهرة الثورة، وكشف المصادر الموضوعية للتغيير الثوري داخل نسق الظواهر الاجتماعية. ومن أبرز دعاتها **تالكوت بارسونز** الذي يعتبر الثورة انحرافاً مرضياً يؤدي إلى خلخلة التوازن في بناء السلطة.

إن محور التناول البنائي الوظيفي هو مفهوم القيم، فترى البنائية الوظيفية أن النسق الاجتماعي سيواجه صعوبات حين لا تستطيع القيم القائمة في المجتمع تفسير التغييرات في الجوانب البيئية المحيطة، الأمر الذي يتطلب احتياج البيئة المحيطة إلى قيم جديدة تكون لديها القدرة التفسيرية، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التطور أو الثورة.

ويرى **روبرت مرتون** أن الاختلالات الوظيفية يمكن أن تفضي إلى حالة من عدم الاستقرار، وإن التمرد هو استجابة لهذه الحالة. والاختلال الوظيفي الذي يتعرض له المجتمع يوجب التعديل أو التغيير، وإذا قاومت السلطة هذا التغيير فإن التغييرات تكتسب طابعاً ثورياً.

وقد لقيت هذه النظرية العديد من الانتقادات من بينها أنها لا تشير إلى مصدر الاختلال الوظيفي، أو سبب التناقضات الاجتماعية، ولا تميز بين مظاهر الاختلال الوظيفي وبين التناقضات التي تظهر في أي مجتمع سواء تلك التي تؤدي إلى الثورة أم التي لا تؤدي إليها.

8 ـ المادية التاريخية:

تنطلق المادية التاريخية من التفسير المادي للتاريخ، وترى بأن التناقض هو سبب التطور، وتطبيق هذا المذهب يؤدي إلى تفسير سير التاريخ بالتناقض بين مكونات الجانب المادي للمجتمع، وترى هذه النظرية أن الصراع بين المصالح المختلفة، والمتعارضة أحياناً داخل النسق السيسيولوجي ضرورة لازمة للتغيير الاجتماعي، ويعتبر ماركس أن الصراع الطبقي هو الموضوع الرئيسي للتاريخ ولا يمكن أن ينتهي إلا بالثورة.

كما يعتقد ماركس أن القوى الإنتاجية في المجتمع تدخل في مرحلة من تطورها في صراع مع علاقات الملكية ومع الإطار الاجتماعي والسياسي القائم، وعندما تصبح علاقات الملكية معوقة للإنتاج تحدث أزمة وتبدأ حقبة من الثورات الاجتماعية ولا تستطيع الطبقات الحاكمة، ولا تريد الطبقات المستَغلّة أن تعيشا معاً في ظل الشروط القائمة، وهذا التناقض بين الطبقات هو الذي يفضي إلى ثورة عنيفة.

لكن ما يعاب على هذا المدخل التفسيري رغم جهده النظري الذي قدمه لتفسير الثورة، لتركيزه فقط على الحتمية الثورية الناتجة عن الأسباب الاقتصادية وإغفاله بل ونفيه المطلق لباقي الأسباب المؤدية للثورة.

9 ـ نظرية تعبئة الموارد:

ظهرت نظرية تعبئة الموارد، التي صاغها لأول مرة في شكلها التأليفي الكامل كل من **زالد Zald ومكارثي McCarthy**،

وسرعان ما لقيت قبولاً واسعاً وإجماعاً من قبل المجتمع العلمي.
بنت هذه النظرية نقدها على أفكار ثلاث:
ـ أنه لا يمكن اعتبار الفاعل الاجتماعي موضوعاً للسيكولوجيا، ذلك أنه يعمل عقلانياً.
ـ لا تعد واقعية النظرية التقليدية مسألة ملائمة، ذلك أن التحولات الاقتصادية الاجتماعية متجاهلة عند ظهور الفعل الجماعي.
ـ تعد التنظيمات، على عكس فرضيات نموذج مجتمع الجماهير، المفتاح الذي نفهم من خلاله عمليات التعبئة.
ويكمن **الاختلاف الأساسي بين النظرية التقليدية ونظرية تعبئة الموارد** في اعتقاد الأولى، على حسب تصور صاحبها **كورنهوزر**، إن عماد الفعل الجماعي يعود إلى غياب التنظيمات الوسيطة، في حين تعتقد الثانية أنه على العكس، أن التنظيمات الوسيطة هي عصب الفعل الجماعي.
كما شرح **كورنهوزر** مسألة أن غياب علاقات التضامن التقليدية تمّ تعويضه من خلال خلق علاقات تضامن أخرى أكثر تطوراً أفرزتها المدينة وأدارتها تنظيمات جديدة. هذه الأخيرة هي السبب الأساسي في ظهور التعبئة الاجتماعية التي تعيشها المجتمعات المعاصرة.
انتقدت نظرية التعبئة المقاربة السيكولوجية واهتمت أكثر بالمقاربة الاقتصادية التي أصبحت عماد تحاليلها. فهي تعتقد أن الفاعلين الجماعيين أناس عقلانيون ويتصرفون انطلاقاً من حسابات دقيقة.
يشبه كل **من زالد وماكرثي** منظمات الحركات الاجتماعية بمديري

المؤسسات، حيث يتصرفون في عدد معين من الموارد مثل العمل، الموظفين، التمويل... لذلك فهم يعتمدون في اختيار إستراتيجيات حركتهم على مفهومي الربح والخسارة.
كما انتقدت نظرية التعبئة، عبر مساهمات **زالد وماكرثي**، مفهوم وضعية النظرية التقليدية وشككت في وجود علاقة سببية وثيقة تربط بين التحولات الاقتصادية والاجتماعية وظهور الكبت والحرمان اللذان يؤديان إلى الفعل الجماعي. فهما لا يعتقدان في هذه الآلية السببية، حيث يتجاوزانها إلى تصور آخر ينبني على فكرة أن التنظيمات هي التي تخلق الحاجيات المطلبية والاعتراضات المعبئة. ويقولان في هذا المعنى: ‘‘الاعتراضات والاستياءات يمكن تحديدها، خلقها، والتلاعب بها من قبل المديرين (القادة) والتنظيمات’’.
فالأزمة، على حد اعتقادهم، لا تشكل سبباً مباشراً في عمليات التعبئة الاجتماعية، ذلك أنها لا تتجاوز كونها مورداً هاماً لتنظيمات الحركات الاجتماعية التي تعمل على استغلالها.
إن الثورة وليدة سياق اجتماعي خاص بكل مجتمع ودولة، ولا يمكن فهم الثورة إلا من خلاله، ومهما حاول المنظرون إعطاء قوانين ثابتة للثورات والتنظير لها، تبقى كل ثورة متفردة عن غيرها من خلال أسبابها وظروفها الخاصة، لكن اجتهادات المفكرين من مختلف التيارات ساهمت وتساهم في فهم الثورة كظاهرة إنسانية.

الجماهير وخصائصها

"سيكولوجيّة الجماهير" كتاب مهم لعالِم الاجتماع الفرنسي **غوستاف لوبون،** الذي يُنسب إليه - حتى من قبل منتقديه – (اختراع) وتأسيس علم النفس الجماعي بشكل جدّي ومستقل، وقد دَفعت التصنيفات اللّاحقة بعلم النفس الجماعي أو علم نفس الجماهير ليكون فرعاً مُلحقاً بعلم النفس الاجتماعي..
يهتم مجال علم النفس الجماعي بدراسة سلوك المجموعات البشريّة كوحدة نفسيّة وذهنيّة واحدة تسمّى الجماهير، وقد وضع لوبون تعريفاً لـ"الجماهير" - بهذا المعنى المُستخدم في علم النفس - لتمييزها عن معناها العام.
فالجماهير "تعني في معناها العادي تجمّعاً لمجموعة من الأفراد أيّاً تكن هويّتهم القوميّة أو مهنتهم أو جنسهم، وأيّاً تكن المصادفة التي جمعتهم".
وبهذا المعنى "العام" **فمفردة "الجماهير" قد تُستعمل لوصف العابرين في ساحة معيّنة في وقت معيّن، فهذا جمهور، لكنّه تجمهر بغير ارتباط نفسي،** لذا نجد أن **لوبون** يطلق مصطلح "الجمهور النفسي" لشرح مراده ومجال دراسته، و**لوبون** يُقَومِس (يضع قاموساً للمصطلح) الجمهور النفسي بعبارته:
"مصطلح الجمهور يتّخِذ معنىً آخر مختلفاً تماماً من وجهة النظر النفسيّة، ففي بعض الظروف المعيّنة، وفي هذه الظروف فقط، يمكن لتكتّل ما من البشر أن يمتلك خصائص جديدة مختلفة جدّاً عن

خصائص كلِّ فرد يشكِّله، فعندئذ تنطمس الشخصيّة الواعية للفرد، وتصبح عواطف وأفكار الوحدات المصغّرة المشكِّلة للجمهور، موجَّهة في نفس الاتجاه، وعندئذ تتشكّل روح جماعية عابرة ومؤقّتة في أغلب الظن، ولكنها تتمتّع بخصائص محدّدة ومتبلورة تماماً، وعندئذ تصبح هذه الجماعة ما سأدعوه بالجمهور المنظّم نظراً لعدم امتلاكي مصطلحاً آخر. أو قل إنّها تصبح "جمهوراً نفسياً". إنّها تُشكِّل عندئذٍ كينونة واحدة وتصبح خاضعة لقانون الوحدة العقليّة للجماهير.

إضافة أخرى مهمة لمفهوم الجمهور النفسي عند لوبون تتعلّق بأنّه لا يُشترط لهذا التجمهر أن يكون مرئيّاً، ولا يتطلّب الحضور المتزامن للعديد من الأفراد في نقطةٍ واحدة، يقول لوبون: "يمكن لآلاف الأفراد المنفصلين عن بعضهم البعض أن يكتسبوا صفة "الجمهور النفسي" في لحظةٍ ما تحت تأثير بعض الانفعالات العنيفة أو تحت تأثير حدث قومي عظيم، وإذا جَمَعَتهم صدفة ما كانت كافية لأن يتّخذ سلوكهم فوراً الهيئة الخاصّة بأعمال الجماهير".

فالجمهور النفسي إذن – بحسب لوبون - يمتلك وحدة نفسيّة وعقليّة تميّزه عن غيره من التجمّعات، وسترد تالياً ومن خلال نقد **"فرويد"** وإضاءته لبعض جوانب هذا المفهوم، وكيفيّة تخلّق هذه الوحدة النفسيّة.

يحدّد لوبون بعض خصائص الجمهور، ننتقي منها بعضها، حيث يشير لوبون إلى الفرق بين سلوك الأفراد المكوِّنين لهذا الجمهور

كلاًّ على حدة، وبين سلوكهم ضمن الجمهور، إذ أنّه يرى أنّ المجموعة ليست حاصلاً لجمع أفرادها وليست متوسِّطاً حسابيّاً لهم، فالمحصِّلة ليست خليطاً فيزيائيّاً بل هي مركّب كيميائي ناتجه - من حيث القدرات العقليّة - دون متوسّطهم بكثير، إذ يعتبر أنّ الفرد المنعزل أكثر عقلانيّة من ذات الفرد منخرطاً في جمهرة، وأكثر عقلانية من الجمهرة ككل.

"الميزة الأساسية للجمهور هي انصهار أفراده في روح واحدة وعاطفة مشتركة تقضي على التمايزات الشخصيّة وتخفض من مستوى الملكات العقليّة".

يتحدّث لوبون عن أنّ التئام الجمهور النفسي يستنفر ما يسميه بالصفات العامة للطبع (دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض الخ) التي يتحكّم بها اللاوعي، "فالكفاءات العقليّة للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتيّة تمَّحِي وتذوب في الروح الجماعيّة. وهكذا يذوب المختِلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية".

ومفهوم الطبع عند لوبون مرتبط بما يسميه العرق أو العرق التأريخي، وقد جلبت هذه النقطة للوبون نقداً على أساس أنّه عنصري، حاول لوبون شرح أنّ مفهومه للعرق التأريخي لا يعني العرق بالمعنى الوراثي، ولا يتضمّن أي تصوّر عن تفوّقٍ مضمون لعرق ما.

خاصيّة أُخرى من الخصائص العامة للجماهير هي سرعة تأثّرها بأي اقتراح وهي على تلك الحال، ...، "وأيّاً تكن حياديّة الجمهور

فإنه يجد نفسه في غالب الأحيان في حالةٍ من الترقّب المهيّأة لتلقِّي أي اقتراح".

ويقول لوبون مُسهباً في التفصيل: "فالحدث الأكثر بساطة يتحوّل إلى حدثٍ آخر مشوّه بمجرد أن يراه الجمهور. فالجمهور يفكِّر عن طريق "الصور"، والصور المتشكِّلة في ذهنه تثير بدورها سلسلة من الصور الأخرى بدون أي علاقة منطقيّة مع الأولى، ويمكن التصوّر بسهولة هذه الحالة عن طريق التفكير بالتتابع الغريب للأفكار الذي يقود إليه تذكّر حدثٍ معيّن.

والعقل يبين عدم تماسك مثل هذه الصور، ولكن الجمهور لا يرى ذلك. فالواقع إنّه يخلط بين التضخيم الذي يُلحقه بالحدث وبين الحدث ذاته. وبما أنّه غير قادر على التمييز بين (الذاتيّ) و(الموضوعيّ) فإنّه يعتبرُ الصورة المثارة في خياله بمثابة الواقعيّة والحقيقيّة، هذا على الرغم من أنّها ذات علاقة بعيدة جداً مع الواقعة المرئيّة.

ويُعلي لوبون من دور الصور في تحريض وقيادة الجماهير، والصور هنا مفهوم أشمل، يتضمّن مجموع ما يتم تثبيته في مخيّلة الجماهير، الآمال الكبيرة، الارتباطات المُرافقة، وغير ذلك.

ومن المتوقع أن تكون التضخيمات والتشويهات التي يُلحقها جمهورٌ ما بحدث ما يشهده شخصياً، كثيرة جداً وذات معانٍ متعدِّدة، وذلك لأن الأشخاص الذين يشكِّلون الجمهور ذوو طباعٍ شديدة الاختلاف والتنوُّع. ولكن الواقع غير ذلك أبداً، ذلك أنّه بسبب "العدوى"، فإنّ هذه التشويهات هي ذات طبيعة واحدة

ومعنى واحد بالنسبة لكلِّ أفراد الجماعة. فأوّل تشويه يلحظه أحدهم يشكِّل نواة التحريض المعدي.

الفرد في الجمهور النفسي

مجموع الخصائص الأساسيّة للفرد المنخرط في الجمهور تتبدى في: تلاشي الشخصيّة الواعية، هيمنة الشخصيّة اللاواعية، توجُّه الجميع ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار، الميل لتحويل الأفكار المُحرَّض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة. **وهكذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنّما يصبح عبارة عن إنسانٍ آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده.**

هذا يعني – والكلام لـ لوبون- أنّه بمجرد أن ينضوي الفرد داخل صفوف الجمهور فإنّه ينزل درجات عديدة في سلّم الحضارة. فهو **عندما يكون فرداً معزولاً ربّما يكون إنساناً مثقّفا متعقِّلاً، ولكنّه ما إن ينضم إلى الجمهور حتى يصبح مقوداً بغريزته وبالتالي "همجيّاً"**. وهو عندئذ يتّصف بعفويّة الكائنات البدائيّة وعنفها وضراوتها وحماستها وبطولاتها أيضاً. ويقترب منها أكثر بالسهولة التي يترك نفسه عرضة للتأثر بالكلمات و"الصور" التي تقوده إلى اقتراف أعمال مخالفة لمصالحه الشخصيّة بشكلٍ واضح وصريح. إنّ الفرد المنخرط في الجمهور هو عبارة عن حبّة رمل وسط الحبّات الرمليّة الأخرى التي تذروها الرياح على هواها".

ثمّ يستأنف لوبون:

"إنّ الفرد المنخرط في الجمهور لا يختلف فقط بالأعمال والتصرّفات عن نفسه وهو في الحالة العاديّة، وإنّما نلاحظ أنّه حتى قبل أن يَفقِد كل استقلالية فإنّ أفكاره وعواطفه قد تحوّلت وتغيّرت إلى درجة القُدرة على تحويل البخيل إلى كريم، والشكّاك إلى مؤمِن، والرجل الشريف إلى مُجرم والجبان إلى بطل"..

وفي هذا الإطار، يحاول لوبون شرح فكرته عن انفلات سلوك الفرد حال دخوله في الجمهور النفسي، ويقرّر هنا بطريقة مقنعة العلاقة العكسيّة بين الإحساس بالمسؤوليّة وبين "التماهي في الكثَرة"، أي أنّه كلّما كان الجمهور كبيراً نسبيّاً في عدد أفراده، كلّما قلّ إحساس الفرد فيه بالمسؤوليّة وانتفى خوفه من العقاب.

"الفرد في الجمهور يكتسب بحكم العدد وحده، شعوراً بقوّة لا تُقهر، يتيح له الاستسلام لغرائز ما كان إلّا ليكبحها فيما لو لبث وحيداً. وهو سيستسلم لهذه الغرائز بسهولة أكبر ما دام حسّ المسؤوليّة الذي يردع الأفراد على الدوام، يتلاشى بتمامه بحكم أنّ الجمهور غفل، وبالتالي لا مسؤول".

ويكاد علماء النفس يتفقون على السمات "العامة" لسلوك الفرد داخل المجموعة النفسيّة، وتبدو اختلافاتهم مرتبطة بتفسير مدخلات هذا السلوك ومردّه، ولكنّهم يكادون يتّفقون أنّ الفرد إذ يصبح قطرة في سيل الجمهور، كبيرة أو صغيرة، فهو قد قايض بدرجة ما، قدراً من ذكائه وحسّه النقدي مقابل الشعور العارم بالقوّة والأمان.

يلتقط **فرويد** توصيف **ماك دوغال** لنفس الحالة "نستطيع القول إنّه لا تكاد توجد شروط أخرى تبلغ فيها المشاعر الإنسانيّة درجة من الحدّة مساوية لتلك التي تُلاحظ لدى الأفراد الملتئم شملهم في جمهور، ولا شك في أنّ هؤلاء يخامرهم إحساسٌ ممتع إذ يستسلمون لهواهم، فينصهرون في الجمهور ويفقدون الإحساس بشعورهم الفردي".

ملخص لكتاب "سيكولوجية الجماهير"
للكاتب جوستاف لوبون

"**سيكولوجية الجماهير**" هو كتاب يصف حال الجماهير أثناء الثورات والاضطرابات بشكل دقيق جداً، ويفسر سلوكهم. **جوستاف لوبون** هو مؤسس علم نفسية الجماهير، عاش فى فرنسا فى القرن التاسع عشر، وألّف هذا الكتاب عام 1895 (بعد نحو مئة عام من الثورة الفرنسية)، فى ذلك العصر الملىء بالاضطرابات الجماهيرية العنيفة والحروب والتمرد الشعبى، حيث ضعف الحكومات وانقسام الأحزاب والعجز عن مواجهة المتمردين. ومن المهم ان يطلع عليه المشتغلون بالاعلام، لذلك، فيما يلي تلخيص بسيط للكتاب قد يفي بالغرض في ايصال اهم العناوين التي احتوى عليها، لعلها تكون اساساً يمكن البناء عليه لدرس ظواهر الرأي العام واتجاهاته في عصرنا هذا. وينقسم كتاب "**سيكولوجية الجماهير**" الى:

الكتاب الأول: روح الجماهير

الفصل الأول: الخصائص العامة للجماهير - القانون النفسى لوحدتها الذهنية :

فى ظروف معيّنة، تمتلك مجموعة من البشر خصائص مختلفة تماما عن خصائص كل فرد، عندئذ تنطمس الشخصية الواعية للفرد وتتشكل روح جماعية مؤقتة وموحدة تختلف عن خصائص

الأفراد، فيفكر المجموع ويتصرف بشكل يختلف تماماً عن تصرفات كل فرد على حدة.
إن العناصر اللاواعية هى التى تقود هذا الجمع. وهى متشابهة غالبا لدى عرقٍ ما، فمن الممكن وجود هوة فكرية بين عالم الرياضيات وبين صانع الأحذية، لكن من وجهة نظر المزاج والعقيدة الإيمانية فالاختلاف شبه منعدم.

الفصل الثانى: عواطف الجماهير وأخلاقياتها :

خصائص الجماهير تشبه خصائص البدائيين أو الأطفال، وهى:

1- سرعة الانفعال والخفة والنزق: الجمهور مقود كلياً تقريباً من اللاوعى، فأعماله لا تقع تحت تأثير المخ أو العقل، وبالتالى هو عبد للمحرضات التى يتلقاها (الفرد المعزول قد يتعرض لنفس المحرضات لكن عقله الواعى يفندها ويتبين مساوئها ويرفضها).

2- سرعة تأثر الجماهير وسذاجتها وتصديقها لأي شىء:

تتأثر الجماهير بأى اقتراح وينتشر بفعل العدوى. وتتحول الفكرة فورا إلى فعل، سواء كان عمل خيرى أو حرق قصر. فالجمهور محروم من أى تفكير نقدى.

3- عواطف الجماهير- تضخيمها وتبسيطها:

العواطف التى تجتاح الجماهير سواء كانت طيبة أم شريرة لها طابع مزدوج، مضخمة جداً ومبسطة جداً.
إن بساطة وتضخيم العواطف يحميها من عذاب الشكوك وعدم اليقين، فما إن يبدر خاطر ما حتى يتحول إلى يقين، والشعور

البسيط بالنفور أو عدم الاستحسان عند الفرد المعزول يتحول عند الجماهير إلى حقد هائج.

4- تعصب الجماهير واستبداديتها ونزعتها المحافظة:

بما أن الجماهير لا تعرف إلا العواطف البسيطة والمتطرفة، فإن الأفكار والعقائد التى تروِّج لهم إما تُقبل أو تُرفض دفعة واحدة. إما تعتبر حقائق مطلقة أو أخطاء مطلقة. إن الجماهير تحتمل الاستبداد والتعصب بنفس السهولة التى تمارسها، فهى تحترم القوة ولا تحترم الطيبة التى تعتبرها ضعفا.

فعواطف الجماهير لا تتجه أبداً نحو الزعماء طيبى القلب، بل يقيمون النصب التذكارية لأولئك المستبدين.

إن الغرائز الثورية لا تهيمن على الجماهير، فإذا تركت الجماهير لنفسها فإنها تمل الفوضى وتتجه بالغريزة نحو العبودية.

5- أخلاقية الجماهير:

إذا عنينا بالأخلاق إحترام الأعراف والتقاليد وقمع النزوات الأنانية، فالجماهير بهذا التعريف ليست مهيأة لإحترام الأخلاق.

أما إذا عنينا التفانى والإخلاص والتضحية بالذات فالجماهير أخلاقية بهذا المعنى إلى أقصى حد.

الفصل الثالث: أفكار، محاجات عقلية، مخيلة الجماهير:

1- أفكار الجماهير:

لابد للأفكار كى تتمكن من الجمهور أن تبسَّط جداً وتتحول حتى تنزل من طبقة لأخرى إلى أن تصل إلى مستوى الجماهير. ولا تمارس الفكرة تأثيرها إلا بعد أن تدخل إلى اللاوعى.

2- المحاجات العقلية للجماهير:

محاجات الجماهير متدنية جداً وترتكز على الترابط والضم، فالأفكار الموصولة ببعضها بينها روابط ظاهرية من التشابه أو التوالى. كالإسكيمو الذى يعرف أن الجليد يذوب فى الفم، فيعتقد أن الزجاج لأنه شفاف مثل الثلج يذوب أيضاً فى الفم. كما أن الجماهير تقوم بالتعميم لحالات فردية وخصوصية.

هاتان هما الخاصيتان الأساسيتان للمنطق الجماعى، والخطيب الذى يعرف كيف يتلاعب بالجماهير يستخدم مثل هذه الترابطات، فهى وحدها القادرة على تحريكهم والتأثير عليهم. أما المحاجات العقلية فلا يفهمها الجمهور إطلاقا ولا يمكن إقناعها بالمنطق.

3- مخيلة الجماهير:

خيال الجماهير كخيال كل من لا يفكر عقلانياً، معرَّض للتأثير العميق. فالصور التى تثيرها فى نفوسهم شخصية أو حدث لها نفس قوة الواقع.

ولأن الجماهير لا تفكر إلا عن طريق الصور، فأكثر ما يؤثر فيها هو العروض المسرحية. (هذا الكتاب كُتب قبل ظهور التلفزيون الذى احتل الآن هذه المكانة).

الفصل الرابع: الأشكال الدينية التى تتخذها كل قناعات الجماهير:

تمثل قناعات الجماهير فى فترات الإيمان كما فى فترات الانتفاضات السياسية الكبرى، تمثل شكلاً يوصف بأنه عاطفة دينية. هذه العاطفة لها خصائص بسيطة مثل: عبادة إنسان يعتبر خارقاً للعادة، الخوف من القوة التى تعزى إليه، الخضوع الأعمى

لأوامره، استحالة مناقشته، الرغبة فى نشر أفكاره، اعتبار كل من يرفضونها أعداء. وما استمرت الإمبراطورية الرومانية طيلة خمسة قرون إلا لأن الإمبراطور كان معبوداً من قبل الشعب كإله وكانت له هياكل فى أصغر قرية. فلا يمكن لثلاثين فوجاً عسكريا أن تهيمن على مائة مليون إنسان وتجبرهم على الطاعة قسراً.
وإن كان الفاتحون والمنتصرون حالياً ليس لهم هياكل، إلا أن لهم تماثيل وصور معلقة فى كل مكان.

الكتاب الثانى: آراء الجماهير وعقائدها

الفصل الأول: العوامل البعيدة المُشَكِّلة لعقائد الجماهير وآرائها:

العوامل التى تحدد آراء الجماهير وعقائدها ذات نوعين: عوامل بعيدة، وعوامل قريبة أو مباشرة.

الفصل الثانى: العوامل المباشرة التى تساهم فى تشكيل آراء الجماهير:

1- الصور، الكلمات، والعبارات (الشعارات):

مخيلة الجماهير تتأثر بالصور، وإذا لم نكن نمتلك الصور، من الممكن أن نثيرها فى المخيلة عن طريق الاستخدام الذكى للكلمات والعبارات المناسبة. والكلمات التى يصعب تحديد معناها بدقة تمتلك قدرة أكبر على التأثير (مثل: ديموقراطية، مساواة، حرية).
وإذا شعرت الجماهير بنفور من الصور التى تثيرها بعض الكلمات (بسبب انقلابات سياسية ومتغيرات)، يجب على رجل الدولة أن يغيّر هذه الكلمات دون أن يمس الأشياء ذاتها. فكلمة "ضريبة"

المستعملة فى الحروب قديما تحولت إلى "مساهمة عقارية"... الأوهام.

2- **التجربة:** التجربة هى تقريبا المنهج الوحيد الفعال من أجل زرع حقيقة ما فى روح الجماهير بشكل راسخ. لذلك لزم أوروبا التضحية بملايين البشر حتى يستخلصوا حقيقةً ما. لكن الأجيال اللاحقة يلزمها أن تجرب بنفسها لأنها لا تتعلم من عبر التاريخ.

3- **العقل: العقل عامل سلبى لا إيجابى فى التأثير على الجماهير.** فالمنطق ليس له أى تأثير، ولكى نقنع الجماهير لابد من التوجه لعاطفتها.

الفصل الثالث: محركو الجماهير ووسائل الإقناع التى يملكونها

1- محركو الجماهير:

ما إن يتجمع عدد من الكائنات الحية (قطيع من الحيوانات أو جمهور من البشر) حتى يضعوا أنفسهم بشكل غريزى تحت سلطة قائد أو زعيم. القائد كان فى البداية مبهوراً بالفكرة التى أصبح فيما بعد رسولها ومبشراً بها. إن القادة ليسوا رجال فكر، وإنما رجال ممارسة وانخراط. وهم قليلو الفطنة وغير بعيدى النظر. ونعثر عليهم فى صفوف المصابين بالعصاب والمهتاجين وأنصاف المعتوهين الذين يقفون على حافة الجنون.

من الكافى للسلطات أن تقبض على محركى الإضراب (القادة) كى يتوقف فوراً، فالشىء الذى يهيمن على روح الجماهير ليس الحاجة إلى الحرية وإنما إلى العبودية. فظمأها للطاعة يجعلها تخضع غرائزياً لمن يعلن أنه زعيمها.

2- وسائل العمل التى يستخدمها المحركون: التأكيد، التكرار، العدوى:
إن التأكيد المجرد بدون أى حجة عقلانية أو برهان وسيلة موثوقة لإدخال فكرة فى روح الجماهير. بعد ذلك يأتى التكرار، فهو الذى يؤدى إلى الرسوخ فى النفوس. بعد فترة من التكرار، ننسى مؤلف هذا القول ونؤمن به لأنه ينغرس فى اللاوعى حيث تُصنع دوافع كل أعمالنا. فمن كثرة ما يكررون فى الصحيفة أن (أ) هو وغد حقير وأن (ب) رجل شريف ونبيل فإننا فى النهاية نصدّق طالما لا نقرأ صحيفةً أخرى.
عندما يتاح لتوكيدٍ ما، أن يكرَّر بما فيه الكفاية، تبدأ الآلية الجبارة للعدوى فينتشر الشعور أو الفكرة. فالعدوى هتى التى تنشر الموضة وهى التى تروّج لعمل فنى أو أدبى.
3- الهيبة الشخصية:
الهيبة نوعان: هيبة مكتسبة تجىء عن طريق إسم العائلة أو الثروة أو الشهرة أو المنصب، فالضابط ما إن يلبس بزته العسكرية حتى يكتسبها.
كما أن هناك هيبة للأفكار والأعمال الأدبية والفنية، فمن يجرؤ على انتقاد أعمال هوميروس صاحب الالياذة أو قصر البارثينون (البارثينون معبد إغريقي في مدينة أثينا، بُني على جبل الأكروبولس، ويعتبر من أفضل نماذج العمارة الإغريقية القديمة)؟
الخاصية الأساسية للهيبة هى أننا لا نعود نرى الأشياء كما هى فى الواقع، فتتنشل بذلك قدرتنا على التقييم.

النوع الثانى للهيبة هو الهيبة الشخصية، وهى ملكة مستقلة عن كل لقب أو سلطة. والعدد القليل الذى يمتلكها يمارس سحراً مغناطيسياً حقيقياً على الآخرين الذين يطيعونه طاعة عمياء.
هناك عدة عوامل تلعب دوراً فى تشكيل الهيبة الشخصية، والنجاح أهمها، فالهيبة الشخصية تختفى مع الفشل والبطل الذى صفقت له الجماهير بالأمس تحتقره إذا خالفه الحظ.
والهيبة الشخصية تتلف أيضاً بالمناقشة والمجادلة، ولكن بطريقة أبطأ، فالهيبة التى تصبح عرضة للنقاش لا تستمر طويلاً، والأشخاص الذين حافظوا على هيبتهم لم يسمحوا أبداً بالمناقشة وحافظوا على مسافالفصل اة بينهم وبين الجماهير.

الفصل الرابع: محدودية تغيّر عقائد الجماهير وآرائها:

هناك عقائد إيمانية كبرى ودائمة تدوم قروناً وترتكز عليها الحضارة، مثل النظام الإقطاعى فى الماضى، ثم الأفكار المسيحية ثم أفكار الإصلاح المسيحى **(لوثر)**، ثم الأفكار الديموقراطية والإجتماعية ... وهناك أفكار وآراء عابرة ومتغيرة مثل النظريات التى توجّه الفنون والآداب.
فوق العقائد الراسخة تتموضع طبقة سطحية من الآراء والأفكار التى تولد وتموت باستمرار. وعادةً لا تتجاوز فترة حياتها جيلاً واحداً. كل المتغيرات المضادة للعقائد العامة ولعواطف العرق لا تعيش طويلا، ويستعيد التيار العام مجراه من جديد.

الكتاب الثالث: تصنيف الفئات المختلفة من الجماهير ودراستها:

فى هذا الجزء **يصنّف الكاتب الجماهير إلى متجانسة وغير متجانسة.** ثم يتناول الجماهير المجرمة وخصائصها العامة (وهى نفس خصائص الجماهير: قابلية التحريض، السذاجة وسرعة التصديق، التهور، المبالغة فى العواطف...). ثم محلفي محكمة الجنايات: ككل أنواع الجماهير، المحلفون يتأثرون جداً بالعواطف وقليلاً جداً بالمنطق والعقل. وأهم شىء للمحامى الناجح أن يعرف كيف يؤثر على عواطف المحلفين.

وأخيراً الجماهير الإنتخابية حيث يقدّم نصائح نفيسة للمرشح الذى يجب أن يكون كاذباً ومدّعياً (يجب على المرشح أن يتملق الناخب ويوزّع عليه الوعود، وبالمثل مع المرشحين المنافسين، عليه أن يتهمهم ويستخدم التأكيد والتكرار والعدوى دون أى برهان على هذه الاتهامات. فإن كان الخصم لا يعرف نفسية الجماهير فسيرد ويبرئ نفسه بمحاجات عقلانية وحينئذٍ لن تكون له أى فرصة). كما أن البرنامج لا يجب أن يكون دقيقاً أو قطعياً لأن خصومه سيواجهونه به فيما بعد.

المصادر والمراجع

- شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي: قضايا العنف السياسي والثورة، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية)، 2003.
- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، (ليبيا: دار الكتب الوطنية)، 2007.
- إسماعيل علي سعد، مبادئ علم السياسة دراسة في العلاقة بين علم السياسة والسياسة الاجتماعية. (القاهرة: دار المعرفة الجامعية)، ط1، 2004.
- السيد عبد الحميد المشوادى، ما هي الثورة؟ وما هي أسباب قيامها؟2011.
- رياض الصيداوي، الانتخابات والديمقراطية والعنف في الجزائر، موقع الحوار المتمدن.
- سمية قادري، محمد المهدي شنين، سيسيولوجيا الثورة، مدونة بحوث، 2011/4/10.
- سيجموند فرويد ،علم نفس الجماهير. من قسم: الكتب العالمية المترجمة، موقع اليك كتابي.
- عامر صالح، أحجار الدومينو: سقوط نظام الدكتاتورية العربية، الشبكة العربية العالمية،2011.
- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، الجزء الأول، 1979.
- غ. ماكسيموف، الثورة المضادة والاتحاد السوفيتي، مجلة الطليعة المجلد 11، العدد 5، أكتوبر/ نوفمبر، 1935، ترجمة: مازن كم الماز.
- غوستاف لوبون، سيكولوجيّة الجماهير. من قسم:علم الفلسفة والمنطق،منشورات الجمل.
- فوزية العطية، علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري. مجلة كلية الآداب العراقية، العدد الرابع والعشرين، 1979.
- كرين برينتن، تشريح الثورة، دار الفارابي، بيروت.

- محمد السويدي، علم الاجتماع السياسي ميدانه وقضاياه، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية).
- محمد صفار، إدارة مرحلة ما بعد الثورة. حالة مصر، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، عدد أبريل 2011.
- يوري كرازين، علم الثورة في النظرية الماركسية، (ترجمة سمير كرم)، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1975.

Aristotle، Politics، NY: Dover Publications، 2000.
Barany، Zoltan، The Volatile Marxian Concept of the Dictatorship of the Proletariat، Studies in East European Thought، vol. 49، No. 1، March 1997.
Foran، John، Theories of Revolutions Revisited: Toward a Fourth Generation، Sociological Theory، vol. 11، No. 1، March 1993.
Goldstone، Jack، "Review Theories of Revolution: The Third Generation"، World Politics، vol. 32، No. 3، April 1980.
Plato، The Republic، NY: Dover Publications، 2000.
Sen، Mohit، Lenin and Revolution: Economic and Political Weekly، vol. 4، No. 31- August 1969.
Singh، Rustam، Status of Violence in Marx's Theory of Violence، vol. 24، No. 4، Jan. 1989.
Strauss، Leo، What Can We Learn from Political Theory? The Review of Politics، vol. 69، No. 4، Fall 2007.

الفهرس